الأزهر يدحض خطاب الكراهية لماكرون ضد الإسلام والمسلمين

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٩١ السنة الخمسون - ربيع أول ١٤٤٢ هـ
الثمن ٥ جنيهات

مدونات الفقهاء في الاقتصاد

الموازنة بين العقل والعاطفة في الدعوة إلى الله

- انحراف البشرية عن التوحيد وأسبابه
- اللطائف الخفية في الأقدار الربانية
- الاعتبار سبيل الاستبصار

بسم الله الرحمن الرحيم

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

مستشار التحرير
جمال سعد حاتم

نائب المشرف العام
د. مرزوق محمد مرزوق

اللجنة العلمية
د. جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. محمد عبد العزيز السيد

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢.
٢- في الخارج ٤٠ دولاراً أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

800 جنيهاً
ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر ٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن.

السلام عليكم

حصاد الألسنة

يطلق كثير من الشباب بل والشيوخ ألسنتهم في إخوانهم، ويستطيلون في أعراضهم، تحت مسميات شتى لأهداف كثيرة؛ كالغيرة على الدين، والدفاع عن السنة، وتصحيح العقيدة، وغيره. جاهلين وغافلين أن تلك الأهداف كان النبي صلى الله عليه وسلم أحرص الناس على تحقيقها والدعوة إليها، مع تَخَلُّقه برفيع الأدب ودماثة الخلق، ونبل المكارم، وحسن السياسة والتعليم، وانظروا إلى سلوكه النبيل مع الشاب الخارجي المنحرف الذي اتهم النبي عليه السلام في عدله وتقواه.

أيها الملكيون أكثر من الملك: تأملوا هذا الحديث الخطير، وتفكروا إلى أين ستذهب بكم ألسنتكم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا معشرَ من آمنَ بلسانه ولم يدخلْ الإيمانُ قلبَه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتَّبعوا عوراتِهم ، فإنه من اتَّبعَ عوراتِهم يتَّبعُ اللهُ عورتَه ، ومن يتَّبعِ اللهُ عورتَه يفضحْه في بيته» (صحيح أبي داود : ٤٨٨٠).

التحرير

بريد القراء

«بريد القراء»، أول باب تفاعلي إعلامي منذ القرن الـ ١٨

عزيزي قارئ مجلة التوحيد:

قبل أكثر من قرنين من الزمان كان باب التفاعل الوحيد بين الصحف وبين القراء، هو باب «بريد القراء».

وتطور الوضع الآن إلى رسائل إلكترونية ترسل إلى مواقع الصحف الإلكترونية للتعقيب على المقالات والأخبار مباشرة، بالإضافة إلى البريد العادي.

وتفعيلاً للتواصل بين مجلة التوحيد والقراء الكرام، فإنه تتاح نافذة «بريد القراء» في مجلة التوحيد، فيرجى لمن يرغب بالمشاركة الالتزام بالأصول الصحافية بعدم التعدي أو اتهام أشخاص بلا دليل، وينبغي أن تكون الرسالة ما بين ٢٠٠ و ٥٠٠ كلمة بحد أقصى، وسيتم إهمال الرسائل التي تأتي بلا توقيع أو تحتوي على لغة بذيئة لا تصلح للنشر. والله الموفق.

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة
مصر ٥٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

٢
انحراف البشرية عن التوحيد وأسبابه

٨
مدونات الفقهاء في الاقتصاد

٢٨
الأزهر الشريف يدحض خطاب الكراهية [illegible] ضد الإسلام والمسلمين

٤٤
الموازنة بين العقل والعاطفة في الدعوة إلى الله تعالى

باب التفسير ٥
قانون المعرفة الإسلامي ١٢
الأمثال في القرآن ١٤
باب السنة ١٧
فقه المرأة في النكاح ٢١
معركة صفين (٢) ٢٤
تتجارى بهم الأهواء ٣٢
الوالدان بين الحقوق والعقوق ٣٤
واحة التوحيد ٣٦
دراسات شرعية ٣٨
الاعتبار سبيل الاستبصار ٤١
وليمة العرس ومسكن الزوجية ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل ٥٧
الأمل هو الحياة ٦١
صلاة الجنازة ٦٥
اللطائف الخفية في الأقدار الربانية ٦٨
مقالات في معاني القرآن ٧١

انحراف البشرية عن التوحيد وأسبابه

الرئيس العام **د. عبد الله شاكر**

التوحيد
التوحيد

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، والصلاة والسلام على من أرسله الله بالهدى ودين الحق إلى يوم الدين، وبعدُ؛ فقد بينتُ في اللقاء السابق أن التوحيد هو الأصل في البشرية، وأقمت الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة والتاريخ، ولكن هذا لم يدم طويلاً، حيث وقع الشرك في الناس بعد فترة زمنية يسيرة لم تتجاوز عشرة قرون

كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فلما اختلفوا بعث الله النبيين والمرسلين، وأنزل كتابه، فكانوا أمة واحدة». (أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤٤٢). وقال عقبه: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

وقد ذكر البخاري في صحيحه أن سبب وقوع الشرك في قوم نوح هو الغلو في الصالحين، وقد ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «صَارَت الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ، أَمَّا وَدٌّ فَكَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالجَوْفِ، عِنْدَ سَبَأٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ

أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ». (البخاري: ٤٩٢٠).

ويلاحظ أن ابن عباس رضي الله عنهما بين السبب في وقوع الشرك في قوم نوح، وأنه هو الغلو، وهو يفسر أيضا معنى قول الله تعالى: «وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا» (نوح: ٢٣، ٢٤)، وقد ذكر ابن جرير في تفسيره عن محمد بن قيس أنه قال: «كانوا قومًا صالحين من بني آدم وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر فعبدوهم». (تفسير ابن جرير ٢٩/٦٢).

وهذا القول يوضح أن الذين فعلوا ذلك لم يعبدوهم، وإنما أرادوا فقط أن يتذكروا بهم عبادة الله تعالى ففعلوا فيهم لهذا السبب، ولما بعد العهد بهم ووقع الجهل فيمن جاء بعدهم عُبِدَتْ هذه الأصنام.

قال ابن حجر رحمه الله: «وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح هذه الأصنام، ثم تبعهم مَن بعدهم على ذلك». (فتح الباري: ٨/١٦٩).

وقد عقد الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله بابًا في كتاب التوحيد قال فيه: «باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين». وقال في مسائل هذا الباب: «معرفة أول شرك حدث في الأرض، كان بشبهة الصالحين». (انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد ١/٣٦٢، ٣٧٩).

وقال الدكتور محمد خليل هراس، رحمه الله: «إن عبادة الأصنام كانت هي النتيجة الحتمية للغلو في تعظيم قبور الصالحين والعكوف عليها، وأدركنا السر العظيم في نهي الإسلام عن اتخاذ القبور مساجد، واتخاذ السرج عليها ونهيه عن رفعها وإقامة القباب عليها، إلى غير ذلك مما قصد به سد الذريعة وحسم دابر الفتنة. (دعوة التوحيد ص١٠٠).

ولهذا نهى الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم عن الغلو في الدين، قال تعالى: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ» (النساء: ١٧١)، وفي هذه الآية نهي صريح عن الغلو في الدين؛ لأنه هو سبب هلاك الأمم السابقة.

قال ابن كثير رحمه الله: «ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقًا أو باطلًا، أو ضلالًا أو رشادًا أو صحيحًا أو كذبًا». (تفسير ابن كثير ١/٨٠٩).

وقال القاسمي رحمه الله: «يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، أي: بالإفراط في رفع شأن عيسى عليه السلام وادعاء ألوهيته، فإنه تجاوز فوق المنزلة التي أوتيها وهي الرسالة، واستفيد حرمة الغلو في الدين». (تفسير القاسمي ٥/١٧٦٣).

ومظاهر الغلو في عيسى عليه السلام عند النصارى تقع في صور، وقد ذكرها القرآن الكريم منها ما جاء في قوله تعالى: «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ» (المائدة: ٧٢)، ومن مظاهر غلوهم أيضًا قولهم بأن المسيح ابن الله، وقد ذكر الله ذلك عنهم، فقال: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّ يُؤْفَكُونَ» (التوبة: ٣٠

وقد رد الله باطلهم وقر

الحق في عيسى عليه السلام، فقال: «لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا» (النساء:١٧٢)، كما ذكر في آية أخرى أنه رسول كغيره من الرسل ويتصف بالصفات البشرية، قال تعالى: «مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ» (المائدة:٧٥)، كما وقعت صور أخرى من الغلو عند اليهود والنصارى أدت إلى وقوعهم في الشرك، ومنها اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، كما في الصحيحين عن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالا: «لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، يحذر مما صنعوا. (البخاري: ٤٣٦، ومسلم: ٥٣١).

ويلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم لعنهما بسبب هذا الفعل، وهذا يبين إثمه وخطورته، وأراد صلى الله عليه وسلم تحذير أمته من سلوك هذا الفعل، ولذلك قال ابن حجر رحمه الله: «وكأنه صلى الله عليه وسلم علم أنه مرتحل من ذلك المرض، فخاف أن يُعظَّم قبره كما فعل من مضى، فلعن اليهود والنصارى، إشارة إلى ذم من يفعل ذلك». (فتح الباري ١/٥٣٢).

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية، فذكرت له ما رأت من الصور، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أولئك إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله». (البخاري: ٤٣٤، ومسلم: ٥٢٨).

وقد ترجم النووي رحمه الله لهذه الأحاديث بقوله: «باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد»، ثم قال: «أحاديث الباب ظاهرة الدلالة فيما ترجمنا له». (شرح النووي على مسلم ٩/٥)، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «أولئك شرار الخلق عند الله». ما يدل على تحريم بناء المساجد على القبور وصناعة الصور والتماثيل؛ لأن هذا وسيلة إلى الوقوع في الشرك، وقد وقعت فيه النصارى بالفعل، ولذلك حذر علماء المسلمين من هذا الغلو حتى لا تقع هذه الأمة فيما وقعت فيه الأمم السابقة.

قال الفخر الرازي في تفسير قول الله تعالى: «وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ» (يونس:١٨): «أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل، فإن أولئك الأكابر يكونون شفعاء لهم عند الله تعالى، ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله». (تفسير الرازي: ٨/٣١٠، ٣١١).

ولما ذكر الحافظ ابن كثير غلو البعض في السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد رضي الله عنها وعن آل البيت، قال: «والذي ينبغي أن يُعتقدَ فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات، وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور وطمسها، والمغالاة في البشر حرام». (البداية والنهاية ١٠/٢٧٤).

قال الشيخ حامد الفقي رحمه الله: «وكل ما عُبدَ من دون الله، من قبر أو مشهد أو صنم، فالأصل في عبادته هو الغلو، كما لا يخفى على ذوي الأبصار». (انظر تعليقه على فتح المجيد ص٣٧١).

وللحديث صلة بإذن الله.

سُورَةُ الحُجُرَات

(٧)

إعداد د. عبد العظيم بدوي

قال الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ »

(الحجرات: ١١).

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد سبق الحديث عن تحريم السخرية من الناس، ونكمل إن شاء الله تعالى تفسير الآية الحادية عشرة من السورة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

تَحْريمُ اللَّمْز:

«ولا تَلْمِزُوا أنفُسَكُمْ» هَذا هُوَ النَّهْيُ الثَّاني، يَنْهَى عَنِ الآفَةِ الثَّانيَة، وَهِيَ اللَّمْز. واللَّمْزُ هُوَ عَيْبُ الغَيْر، باليَد، باللِّسان، بالعَيْن، بالإشارَة، بالكلمَة الخَفيَّة، ويَكُونُ في حُضُور المَلْمُوز.

والهَمْزُ: هُوَ عَيْبُ الغَيْر باللِّسان في غيابه.

وَقَدْ نَهَى اللهُ سُبْحانَهُ نَبيَّهُ صلى اللَّه عليه وسلم عَنْ طاعَة مَنْ هَذه صفَتُهُ، فَقالَ تَعالَى: « وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ » (القلم: ١٠- ١١).

وَتَوَعَّدَ اللهُ الهُمَزَةَ اللُّمَزَةَ بالوَيل، وَهُوَ وادٍ في جَهَنَّمَ تَسْتَغيثُ جَهَنَّمُ منْ حَرِّه، فَقالَ تَعالَى: « وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ » (الهمزة: ١).

وَكَما أَنَّ السُّخْريَةَ مِنَ المُؤمنينَ والاسْتهْزاءَ بهمْ عَمَلٌ منْ أَعْمال الكُفَّار وَالمُنافقين، فكذلك الهَمْزُ واللَّمْزُ أَيْضا.

يَقُولُ تَعالى عَنِ المُنافقين: « وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ » (التوبة: ٥٨). وقال تعالى: « ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (التوبة: ٧٩).

وَيَقُولُ اللهُ تَعالَى عَنِ الكافرين: « وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ » (القلم: ١٠- ١١).

فَاللهُ سُبْحانَهُ وَتَعالَى يَنْهَى المُؤْمنينَ عَنْ سُخْريَة بَعْضهمْ منْ بَعْض، واسْتهْزاء بَعْضهمْ ببَعْض، كَما يَنهاهُمْ عَن الهَمْز واللَّمز، لَيْسَ فَقَطْ لما تَجْلبُهُ هَذه الآفاتُ مِنَ العَداوَة وَالبَغْضاء، وإنَّما -أَيْضًا- لأَنَّ هَذه الآفاتِ منْ

أعمال الكفار والمنافقين، ولا يجوز التشبه بهم، لقوله صلى الله عليه وسلم: «من تشبه بقوم فهو منهم» (صحيح سنن أبي داود: ٣٤٠١).

وإذا كان اللمز هو عيب الغير، فكيف قال تعالى: «ولا تلمزوا أنفسكم»؟ ذكر العلماء لذلك علتين:

الأولى: أن الرجل إذا لمز غيره تسبب في لمز نفسه، فكأنه ابتداء قد لمز نفسه، كما قال تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ» (النساء: ٢٩). وهذا نهي عن أن يقتل المؤمنون بعضهم بعضا، وقد كتب الله أن القاتل يقتل، فكأن من قتل غيره قد قتل نفسه، لأنه تسبب في قتلها.

ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من الكبائر شتم الرجل والديه». قالوا يا رسول الله! هل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»). (صحيح البخاري ٥٩٧٣)

والعلة الثانية في قوله تعالى: «ولا تلمزوا أنفسكم»، أن المؤمنين كلهم كالرجل الواحد، فإذا لمز مؤمن مؤمنا فكأنما لمز نفسه.

تحريم التنابز بالألقاب:

«ولا تنابزوا بالألقاب» هذا هو النهي عن الآفة الثالثة، وهي التنابز بالألقاب، ومعناه: أن ينادي الرجل أخاه بما يكره من الأسماء والكنى والألقاب، ومن حق المؤمن أن ينادى بأحب الأسماء إليه، فإذا كان لمؤمن اسمان أو كنيتان أو لقبان، فلا يجوز أن ينادى بما يكرهه من ذلك، ويجب أن ينادى بأحبهما إليه.

ولما نهى ربنا سبحانه عن هذه الآفات الثلاث قال تعالى: «بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان»، يعني أن العمل بما نهى الله عنه فسوق، أي خروج عن طاعة الله إلى معصيته، وبئس للرجل أن يسمى فاسقا بعد إيمانه، «ومن لم يتب» بعد النهي «فأولئك هم الظالمون» أنفسهم، بتعريضها للعقوبة المستحقة بانتهاكهم حرمات المسلمين.

المتكبر هو الذي يسخر من الناس ويحتقرهم:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة. قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس» (صحيح مسلم: ٩١).

إن السخرية من الناس، والاستهزاء بهم، وازدراءهم، واحتقارهم، إنما يكون من المتكبرين، فالمتكبر ينظر إلى نفسه بعين الكمال، وينظر إلى غيره بعين النقص والازدراء، فلا يرى ذلك الغير أهلا لاحترامه وتقديره، والنزول على رأيه إذا أشار عليه، فهو يهزأ به، ويسخر منه، ويحتقره، وكفى المستهزئ إثما أن يسخر من المؤمنين ويحتقرهم، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» (صحيح مسلم: ٢٥٦٤)؛ ذلك أن احتقار المسلم إنما ينشأ عن كبر في صدره، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر».

وقد نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن الكبر في آيات كثيرة، كما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة.

فمن الآيات قوله تعالى: «وَلَا

تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا » (الإسراء: ٣٧). وقوله تعالى: « وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ » (لقمان: ١٨).

وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالتواضع للمؤمنين، فقال تعالى: « وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ » (الحجر: ٨٨)، وقال تعالى: « وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ » (الشعراء: ٢١٥).

تواضع النبي صلى الله عليه وسلم:

ولذا كان صلى الله عليه وسلم قمة في تواضعه، حتى « إن كانت الأمة لتأخذ بيده صلى الله عليه وسلم فتخلو به في حاجة لها، فما ينصرف حتى يقضي حاجتها » (صحيح البخاري: ٦٠٧٢).

وكان دائما يقول: « إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله » (صحيح البخاري: ٣٤٤٥).

وكان من تواضعه يكره أن يقوم له أصحابه إذا دخل عليهم. عن أنس رضي الله عنه قال: « لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا، لما يعلمون من كراهيته لذلك » (صحيح الترمذي: ٢٧٥٤).

وقد وصف الله أولياءه المؤمنين بأنهم: « أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ » (المائدة: ٥٤).

من عقوبات المتكبرين:

وبين سبحانه أن الكبر سبب من الأسباب التي تحرم العبد التوفيق للحق، فقال تعالى: « أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ » (الحج: ٤٦)، كما أن الكبر من أسباب عمى القلب، قال تعالى: « كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ » (غافر: ٣٥)، وقال تعالى: « سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ » (الأعراف: ١٤٦).

أما الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن الكبر فكثيرة:

عن ابن عمر رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء » (صحيح البخاري: ٥٧٨٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « بينما رجل يمشي في حلة، تعجبه نفسه مرجل جمته، إذ خسف الله به، فهو يتجلل إلى يوم القيامة » (صحيح البخاري: ٥٧٨٩).

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته » (صحيح مسلم: ٢٦٢٠).

فالله الله عباد الله، إياكم والكبر، فإن الله تعالى لا يحب المتكبرين. فالمتكبر ممقوت من الله، وممقوت من عباد الله، فإن الناس لا يحبون من يتعالى عليهم.

إن الكبر مرض من أمراض القلوب التي تجلب لصاحبها سخط الله وغضبه وعقابه. قال صلى الله عليه وسلم: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » (صحيح مسلم: ٩١).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

مدونات الفقهاء في الاقتصاد

إعداد د. أيمن خليل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

نتناول في هذا المقال بعض مؤلفات أعلام الإسلام في الاقتصاد، فنقول وبالله التوفيق:

أولا: كتاب الكسب لمحمد بن الحسن الشيباني:

«الاكتساب في الرزق المستطاب» ويعرف أيضًا باسم «الكسب»، لمحمد بن الحسن الشيباني المولود عام ١٣٢ هـ والمتوفى ١٨٩هـ، وهو فقيه ومحدث وهو أحد كبار أصحاب أبي حنيفة النعمان. وقد تكلم في هذا الكتاب عن الاكتساب وهو تحصيل المال بما يحل من الأسباب، فتناول كسب المسلم بكل أنواعه وشتى طرقه وجعل أصل المكاسب أربعة: الإجارة والتجارة والزراعة والصناعة وبين أنها مباحة عند جماهير الفقهاء ورد على قول من يرون أن الزراعة مذمومة (الكسب: أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (ت ١٨٩هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ١٤٠).

وبسط الكلام في طلب العلم والمكاسب وما يحل وما يحرم من المكاسب، وما يتركه الإنسان من باب الورع، ورد على الصوفية لذين حرموا الكسب والعمل وأوجبوا التفرغ للعبادة (الكسب: محمد بن الحسن الشيباني، المرجع السابق، ص ٨٧ وما بعدها)، وهذا غرض رئيس لهذا الكتاب وهو أن يفند مزاعم هؤلاء العباد المتزهدة، وناقش مسألة هل الغني الشاكر أفضل أم الفقير الصابر، كما تكلم عن أنواع المطاعم والملابس وما يحل منها وما لا يحل ورد على المتصوفة الذين يحرمون أنفسهم من تناول ما أباحه الله لهم من طعام وتجويع النفس وحرمانها بدعوى تهذيبها (الكسب: المرجع

السابق، ص ١٩٠).

كما تكلم عن الإسراف والتبذير والشح والبخل والتقتير، وتناول وهو يعرض لذلك حكم تزيين المساجد ونقشها (الكسب: محمد بن الحسن الشيباني، المرجع السابق، ص ٢٣٤ وما بعدها).

وقد تناول الأحكام الفقهية لذلك على نحو ينم عن معرفة عميقة بواقع عصره فضلا عن رسوخ علمي.

ثانيا: كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام:

صنف أبو عبيد القاسم بن سلام بن مسكين بن زيد الهروي البغدادي مولى الأزد، المولود بخراسان عام ١٥٤هـ والمتوفى في سنة ٢٢٤هـ، وكان أبوه عبدًا من أبناء خراسان، وتعلم القاسم مع ابن سيده وفاق أقرانه حتى أصبح عالمًا موسوعيًا، ثم صار قاضيًا على طرطوس، وهذا هو الإسلام الذي حقق المساواة بين العرب والعجم وبين أبناء الأشراف وأبناء المولى فأبو عبيد كان أبوه عبدًا وكان حمالا وصار هو بالعلم إمامًا، بل وصار قاضيًا. كما كان أبو عبيد القاسم بن سلام من أئمة الفقه فهذا إسحاق بن راهويه يقول عن أبي عبيد: «... الحق يحبّه الله، أبو عبيد أفقه مني وأعلم...».

(انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح. وكان شيخًا في القراءات فقد ذكره ابن زنجلة في حجة القراءات مع مشاهير القراء كما كان أبو عبيد القاسم بن سلام إمامًا في الحديث واللغة (فهو أول من صنف في غريب الحديث انظر: شذرات الذهب ج٣، ص ١١١).

وقد بدأ أبو عبيد كتابه «الأموال» بباب صنوف الأموال التي يليها الأئمة للرعية وأصولها في الكتاب والسنة - ليؤكد أن الحكام يقومون بالنيابة عن رعيتهم (شعوبهم) في صيانة الأموال المملوكة لهم جميعًا، فالمال ليس ملكًا للحاكم كما كان الحال في عهد القياصرة والأكاسرة وانما هذا المال مملوك للأمة بأسرها، والحاكم لم يعد مالكًا لرعيته بل يعمل لديهم، وهذا الكلام وهذا الطرح لم يعرف قبل ذلك، ولذلك فأبو عبيد يضع الدستور الحاكم للعلاقة بين الحاكم والرعية ويبين المهمة المنوطة به بكل دقة، وما عليه أن يفعله لصالحهم (وهو أشبه بما عرف بعد ذلك بنظرية العقد الاجتماعي بين الحاكم والرعية).

كما تحدث أبو عبيد عن الفيء ووجوهه وسبله، ثم عرض للجزية وبين السنة في قبولها، وطرح إشكالية أجاب عنها وهي هل الجزية من الفيء أم لا ؟ وبين أنها تأخذ من عرب أهل الكتاب، كما تؤخذ من المجوس، ثم عرض لمسألة هامة وهي هل تجب الجزية على كل أحد، وبين صنوف الناس الذين تسقط عنهم الجزية من الرجال والنساء، ثم بين كيف تجبى الجزية والخراج، وبين الواجب على العمال والجباة من الرفق بأهلها وعدم العنف عليهم فيها، ثم عرض لمسألة دقيقة وهي أن المال والخنزير مال عند النصارى غير المسلمين فهل يجوز أن تؤخذ الجزية منهم من الخمر والخنزير؟

ثم عرض لحكم افتتاح الأرضين صلحًا وبين أحكامها وهل هي من الفيء أم أنها غنيمة، وخصص بابًا لوفاء المسلمين لأهل الصلح وعرض للشروط التي اشترطت على أهل الذمة حين صولحوا وأقروا على دينهم، وما يجب على المسلمين من ذلك، وما يكره من الزيادة عليهم، وطرح أسئلة فقهية عميقة وأجاب عنها في كتابه مثل: هل يحل للمسلمين شيء من مال أهل الذمة فوق ما صولحوا عليه؟ وهل أهل الصلح يتركون على ما كانوا عليه قبل الصلح من أمورهم ؟ وحكم من أسلم من أهل الصلح هل تكون أرضه، أرض خراج أم أرض عشر؟. بمعنى آخر هل حكم هذه الأرض يلحق بالجزية فتسقط بالإسلام أم لا.

ثم تكلم أبو عبيد عن الصلح والموادعة تكون بين المسلمين والمشركين إلى وقت، ثم

ينقضي ذلك الوقت، كيف ينبغي للمسلمين أن يصنعوا؟ ومخارج الفيء ومواضعه التي يصرف إليها، ويجعل فيها، والحكم في قسم الفيء، ومعرفة من له فيه حق ممن لا حق له، وحكم التسوية بين الناس في الفيء، وحكم أحكام الأرضين في إقطاعها، وإحيائها، وحماها، ومياهها، وبين حكم الخمس في المعادن والركاز والمال المدفون ثم عرض في كتاب خاص أسماه «كتاب الصدقة وأحكامها وسننها» لكل ما يتعلق بالزكاة بكافة أنواعها: زكاة البهائم (الإبل و البقر والغنم) وزكاة الذهب والورق، وزكاة التجارات والديون، وحكم زكاة الحلي وزكاة الزروع بكل أصنافها وما يجب فيه الزكاة من الخضر والفاكهة والحبوب وما لا يجب، ثم تحدث عن مصارف الزكاة الثمانية وفصل فيها القول باب إعطاء أهل الذمة من الصدقة، وما يجزي من ذلك وما لا يجزئ، وجعل آخر باب في كتابه بعنوان «باب إعطاء أهل الذمة من الصدقة وما يجزي من ذلك وما لا يجزي»، وهذا الكتاب من أفضل الكتب في بابه، ويدل على سعة علم صاحبه ومدى تبحره في مختلف العلوم.

ثالثا: كتاب الأحكام السلطانية للماوردي:

أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي - نسبة إلى بيع ماء الورد، حيث كان أبوه يبيع ماء الورد -، ولد بالبصرة ارتحل به أبوه إلى بغداد، وبها سمع الحديث، ثم لازم واستمع إلى أبي حامد الإسفراييني، كما حدث عن الحسن الجيلي، ولي القضاء وصار قاضي القضاة في عصره، وتوفى سنة ٤٥٠هـ. تناول في كتابه «الأحكام السلطانية» العديد من المسائل الاقتصادية، ففي الباب الحادي عشر تكلم عن ولاية الصدقات، وفي الباب الثالث عشر تكلم عن وضع الجزية والخراج وما بعدها، وفي الباب الخامس عشر تكلم عن إحياء الموات، كما تكلم عن الحمى والأرفاق في الباب السادس عشر، فبين أن الحمى هو المكان المحمي وهو خلاف المباح وهو مكان كان يخصصه ولي الأمر لترعى فيه إبل وأغنام الصدقة والبهائم المملوكة لبيت المال ويمنع غيرها، وحيث بينت السنة أن من أحيا أرضًا مواتًا فهي له، فقد قرن الماوردي إحياء الموات بالحمى لأن السلطان يمنع الرعية من إحياء هذه الأرض الموات ليتوفر فيها الكلأ فترعاه بهائم بيت المال.

وأما الأرفاق يقصد بها الارتفاق أو انتفاع الأفراد بأماكن مخصوصة وقسمه إلى ثلاثة أقسام: الأول: قسم يختص الارتفاق فيه بالصحارى والفلوات باعتبارها منازل المسافرين ينتفعون بها في أسفارهم، والثاني: قسم يختص بالشوارع والطرق كجلوس الباعة في الأسواق العامة، وانتفاع الناس بالطريق، والثالث: قسم يختص الارتفاق فيه بأفنية الأملاك، فنظم ما ينتفع به الكافة وما لا ينتفع به إلا صاحبه (وهنا نجد أن ما يعرف بخطوط التنظيم والمنافع العامة كان معروفًا عند فقهائنا قديمًا ولا يصح أن ذلك لم يعرف إلا من الحملة الفرنسية كما يشاع).

وفي الباب السابع عشر من الأحكام السلطانية تكلم الماوردي في أحكام الإقطاع وهو ما يمنحه الحاكم للرعية وهو: إقطاع تمليك، وإقطاع استغلال، وبين اشتراط الأحناف إذن الإمام في إحياء الموات وأن ذلك يكون عن طريق الإقطاع، وضرب مثلا بفعل عمر رضي الله عنه لما أنشأ البصرة والكوفة، وأسكن فيها من رأى مصلحة في وجوده بها، ثم تناول الماوردي في الباب العشرين من كتابه الأحكام السلطانية أحكام الحسبة وما يتصل بها من أحكام (انظر: الأحكام السلطانية: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، دار الحديث القاهرة (ب.ت)).

رابعًا: كتاب إحياء علوم الدين للغزالي:

صنف أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ) كتاب «إحياء علوم

الدين (أسس الغزالي كتابه على أربعة أرباع وهي: ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات، وجعل كل ربع كتبا ؛ وكل كتاب أبوابا، وقد طبع هذا الكتاب في أربعة أجزاء، ولأن الغزالي لم يكن على دراية بعلم الحديث فقد حشا كتابه الإحياء بالأحاديث الموضوعة والضعيفة والأخبار الباطلة التي لا تصح، وقد خرج أحاديث الكتاب الحافظ زين الدين العراقي (ت ٨٠٦ هـ) في كتابه الذي أسماه « المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار » وقد طبعته دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦! هـ - ٢٠٠٥م).

وتكلم الغزالي في جزء من كتاب الإحياء عن صعوبة المقايضة وأهمية النقود ووظائفها فيقول: « .. يحدث بسبب البياعات الحاجة إلى النقدين فإن من يريد أن يشتري طعاما بثوب فمن أين يدري المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو ؟ والمعاملة تجري في أجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه أمور لا تتناسب، فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال ثم يحتاج إلى مال يطول بقاؤه لأن الحاجة إليه تدوم، وأبقى الأموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فمست الحاجة إلى دار الضرب والصيارفة ..» (إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة بيروت، ربع المهلكات، كتاب ذم الدنيا، ج٣، ص٢٢٧ و٢٢٨).

الحبيشي يسبق فرانسوا كيناي ومدرسة الطبيعيين في الاقتصاد في أن الزراعة هي النشاط الوحيد المنتج:

نختتم دور فقهاء المسلمين في الاقتصاد بالإشارة إلى كتاب البركة في فضل السعي والحركة وما ينجي الله بإذن الله تعالى من الهلكة؛ لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابي الحبيشي اليمني (ت: ٧٨٢هـ)، والذي استفتح الكتاب بفضل السعي والكسب الطيب، ثم بين أن أصول المكاسب ثلاثة الزراعة والصناعة والتجارة، وعقد بابا كاملا للانتصار للزراعة لأنها أفضل المكاسب ليسبق بذلك فرانسوا كيناي الاقتصادي الفرنسي - الذي كان في القرن الثامن عشر الميلادي والذي يقول عنه عالم الاقتصاد الأمريكي من أصل نمساوي جوزيف شومبيتر إن كيناي واحد من أكبر العقول الاقتصادية - ومدرسة الطبيعيين في الاقتصاد أو من يطلق عليهم بالفيزوقراط، والذين ذهبوا إلى أن الزراعة هي النشاط الوحيد المنتج. وقد سبقهم في ذلك الحبيشي بقرون عدة
.

ويحذر الحبيشي في كتابه البركة في فضل السعي والحركة من تضييع الأرض، ويحذر من بيعها، ثم كما تحدث الحبيشي عن الاحتراف وبين أن الأنبياء - وكذلك الصحابة - كانوا أصحاب حرف ومهن، ثم خصص بابًا لما يُجتلب به البركة، ثم خصص بابًا آخر لأربعين حديثا يتضمن لفظ البركة، ثم أعقبه بباب عن الأذكار والأدعية ليبين أن طلب الرزق لا يكون بالأخذ بالأسباب فقط وانما يستعان عليه أيضًا بالعبادة والذكر، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب حوى علوما وفنونا عديدة من الفقه، وأصول الدين، وعلم الطب، والحديث والاقتصاد وغير ذلك.

(انظر: البركة في فضل السعي والحركة وما ينجي الله بإذن الله تعالى من الهلكة ؛ لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابي الحبيشي (ت: ٧٨٢هـ)، دار المنهاج - بيروت/ جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م).

والحمد لله رب العالمين.

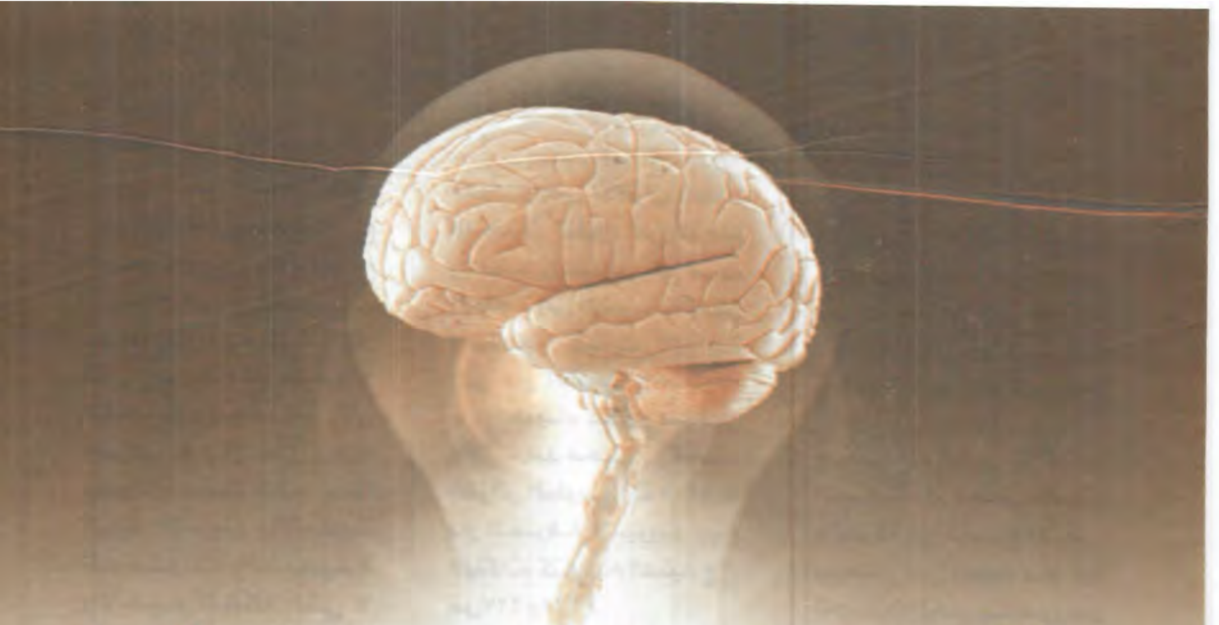

قانون المعرفة الإسلامي (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ فهذا هو اللقاء الثاني بك أيها القارئ الكريم حول: «قانون المعرفة الإسلامي»، وقد وطّدنا في المقال السابق أن للإسلام قانونًا خاصًا به للمعرفة؛ فلا يصح أن نعتمد على المعرفة في الإسلام بقوانين وتيارات غربية، أساسها هدم الإسلام؛ لهذا بدأنا في بيان القانون الإسلامي للمعرفة، وفي هذا المقال- بحول الله تعالى ومدده- سنتعرف على العنوان نفسه: «قانون المعرفة الإسلامي»... ماذا نعني به؟ وما هو مقصودنا منه؟ فنقول بحول الله وتوفيقه:

إعداد **د. أحمد منصور سبالك**

كلمة «قانون» ليست عربية، وقيل: يونانية، وقيل: فارسية، جمعها: «قوانين»، لكن عُرِّبت واستُخدمت في العربية، ويُقصد بها: القواعد والضوابط والأُسُس التي يتبعها الناس، بغرض التنظيم لهم، أي هو النظام الذي يسير عليه الناس.

والمقصود هنا: هو النظام والأساس الذي يُكوّن المسلم به المعرفة في الإسلام.

أما «المعرفة» فاستخدمت في العربية ضد الإنكار، فإن عرف الإنسان شيئًا اطمأنت نفسه إليه وسكنت ولم تنكره، بخلاف ما لم يثبت في النفس فتنكره.

واختلف العلماء هل المعرفة والعلم أمرٌ واحدٌ؟ البعض فرّق بينهما، لكن مع الإقرار بالاتفاق بينهما من جهة الإجمال: فالمعرفة في الأصل تنطبق على العلم من جهة أنها ثبوت المعلوم وتحقق في النفس، فمن علم شيئًا فقد عرفه، ولهذا فسَّر ابن منظور في اللسان: «المعرفة بالعلم».

لكن نجد البعض يفرّق من جهة اللغة بين المعرفة والعلم، كما يقول العسكري في الفروق: «المعرفة أخص من العلم؛ لأنها علم بعينِ الشيء مفصلاً عما سواه، والعلم يكون مجملاً ومفصلاً، فكل معرفة علم وليس كل علم معرفة».

هذا مع العلم بأنه لا تنافي بين تفسير العلم بالمعرفة، والعكس، وبين أن يكون لكل منهما تعريف يختص به، وإنما المقصود اشتراكهما في المفهوم الإجمالي المستند إلى ثبوت معنى في

النفس هو حقيقة العلم والمعرفة.

كما يقول ابن حزم في الفصل: «العلم والمعرفة اسمان واقعان على معنًى واحد، وهو اعتقاد الشيء على ما هو عليه، وتيقنه، وارتفاع الشكوك عنه».

والغاية التي من أجلها نتكلم عن: قانون المعرفة في الإسلام؛ هو بيان منهج الاستدلال في الإسلام، وبيان مصادره، وحدود كل مصدر ومجالاته.

وبيان هذا المنهج يتضمن نقْد أي منهج آخر مخالف له، وتنقية المنهج الإسلامي من الشوائب والانحرافات التي تعلقت به، مع نقد تلك المناهج المخالفة، إذ بضدها تتبين الأشياء.

وبعون الله تعالى سيكون الكلام عن طبيعة المعرفة ومصادرها والعلاقة بين هذه المصادر، وحدود المعرفة ومجالاتها المختلفة. فأما ما يتعلق بطبيعة المعرفة في الإسلام فتقوم على أساس التمييز بين ما هو في الذهن وبين ما هو موجود خارجه؟ وذلك للوصول لمعرفة حقيقية في الغالب.

فطبيعة المعرفة في الإسلام تختص بإثبات الواقع وما يقتضيه على أصله.

وأما ما يتعلق بمصادر المعرفة فتختص ببيان ألا تعارض بينها، بل وقد تشترك في الدلالة على بعض المجالات، وهذا ما يسمى بالتوافق بين المصادر، ومن ناحية أخرى التكامل في إثبات أن لكل مصدر حدوده ومجالاته التي تختص بها، بحيث تكون دلالات المصادر المختلفة متكاملة لا متعارضة.

والغاية من التوافق والتكامل بين المصادر؛ أنه لو ثبت أمرٌ بالوحي، فلا يُتصور مناقضة العقل له، بل يتوافق وتتكامل العقل مع الوحي؛ لأنهما من مصادر المعرفة، فهذا مقصد التوافق والتكامل بين المصادر للمعرفة.

ومن أفضل من تكلم في هذا شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، في كتابه الماتع «درء تعارض العقل والنقل»، فقد بيّن أنه لا تعارض بين العقل السليم والنقل الصحيح.

أما ما يتعلق بحدود ومجالات المعرفة، فعندما نقر بأن الوحي من مصادر المعرفة في الإسلام، فيكون حدود هذه المصدر الإسلام، أي لا نتعدى به إلى الديانات السابقة لوقوع التحريف فيها، وذلك لأن المعارف المختلفة لا يمكن إدراكها إلا من جهة دلالة الوحي عليها.

وأيضًا مما يختص الوحي بالدلالة عليه ما يتعلق بالتشريع؛ إذ لا يمكن أن يشرّع البشر لأنفسهم ما فيه صلاحهم؛ لغلبة الهوى عليهم والجهل بما فيه المصلحة أيضًا، بل يتوقف ذلك على التشريع بالوحي والهداية به للصلاح.

وهذه الأمور تعطي المسلم خاصة صفة ممارسة المعرفة باسم ربه، لا باسم نفسه، ولا باسم أسرته وعشيرته وقومه... إلخ.

وعندما تتكامل وتتوافق عملية المعرفة بمصادرها ومجالاتها تُكسب رسوخًا وإحاطة في العلوم والمعارف، ولا يتخبط كما نرى ممن يعدل عن هذه الأمور، ويؤثر الاغتراب في المعرفة والانحطاط في ميادين الحضارة الزائفة.

وهذا التخبُّط أدّى إلى ضعف هذه الأمة وأدخلها في مشكلات اجتماعية واقتصادية، وانهيار في القيم والأخلاق.

المسلم المعاصر-إلا من رحم ربي- يعيش في هذا التخبُّط والضياع، بزعم أنها حضارة وتمدُّن، وهي غير ذلك، ولم يعط نفسه فرصة تدبُّر كتاب الله والتفكر فيه، والافتخار بكتابات السلف الصالح التي أنارت وستنير الدنيا؛ بإذن الله تعالى.

لكنْ لما عجزَ عن الكلام في هذا، بدأ يدخل المُغْرب مدخلاً آخر لضعاف النفوس، يدخل بما يسمّى بالتجديد، ويحاول تزكية حاضره؛ لأنها الحضارة التي عاصروها، وبيان مساوئ مزعومة لجيل أنار الدنيا في وقته.

وجعله لا يعترف بأزمته الفكرية التي لا يشخّصها فيجد حلاً لها، يعيش اغترابًا فكريًا نتج عنه أزمة فكرية حادة.

هذا ما جعلنا نتكلم ونوضح أن الإسلام له قانون معرفي خاص به، على المسلم أن يحدد معارفه من خلاله، ويأخذ من الفلسفات والتيارات الغربية له هدفًا يحدد من خلالها معارفه.

سنبدأ بإذن الله تعالى في المقال القادم الحديث عن مصادر المعرفة في الإسلام، مستمدين الحلول والمدد من الله تعالى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

دراسات قرآنية

الأمثال في القرآن

ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق

إعداد **مصطفى البصراتي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي هذا العدد نتكلم عن مثل من الأمثال الموجودة في كتاب الله تعالى، وهو في سورة الفرقان الآية (٣٣)- قال تعالى: «وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا» (الفرقان:٣٣).

المعنى الإجمالي:

أخبر تعالى أن هؤلاء الكفرة لا يجيئون بمثل يضربونه على جهة المعارضة- مُبهم- كتمثيلهم في هذه بالتوراة والإنجيل- إلا جاء القرآن بالحق في ذلك أي بالذي هو حق، ثم هو أحسن تفسيرًا، أو أفصح بيانًا وتفصيلًا وأحسن مما جاؤوا به من المثل بيانًا وتوضيحًا ليرد به كيدهم، ويقال معناه: ولا يأتونك بحجة إلا بينَّا لك في القرآن ما فيه نقض حجتهم، وأحسن تفسيرًا أي جوابًا لهم. ويقال: ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بما هو أحسن من مثلهم، ويقال: كل نبي إذا قال له قومه قولًا كان هو الذي يرد عليهم. وأما النبي صلى الله عليه وسلم، فكان إذا قالوا له شيئًا، فالله تعالى هو الذي يرد عليهم. (انظر: المحرر الوجيز لابن عطية، وبحر العلوم لأبي الليث السمرقندي).

معاني المفردات:

«ولا يأتونك» (الإتيان) مستعمل مجازًا في الإظهار، والمعنى: لا يأتونك بشبه يشبهون به حالاً من أحوالك يبتغون إظهار أن حالك لا يُشبه حال رسول الله إلا أبطلنا تشبيههم.

«بمثل» المثل: المشابه وتنكير «مثل» في سياق النفي للتعميم أي بكل مثل، والمقصود: مثل من نوع ما تقدم من أمثالهم المتقدمة.

«إلا جئناك بالحق» استثناء من أحوال عامة يقتضيها عموم الأمثال؛ لأن عموم الأشخاص يستلزم عموم الأحوال.

«وأحسن تفسيرًا» التفسير:

البيان والكشف عن المعنى، ومعنى كونه أحسن، أنه أحق في الاستدلال، فالتفضيل للمبالغة، فـ أحسن تفسيرًا» أي: أحسن تفصيلاً. (انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب، والتحرير والتنوير لابن عاشور).

التفسير التفصيلي:

لما استقصى أكثر معاذيرهم وتعللاتهم وألقمهم أحجار الرد إلى لهواتهم عطف على ذلك فذلكة جامعة تعم ما تقدم وما عسى أن يأتوا به من الشكوك والتمويه بأن كل ذلك مدحوض بالحجة الواضحة الكاشفة لترهاتهم، والمقصود بالمثل هنا في قوله تعالى: «وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا» (الفرقان:٣٣)، مثل من نوع ما تقدم من أمثالهم المتقدمة ابتداء من قوله: «وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ» (الفرقان:٤)، «وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ» (الفرقان:٥)، بقرينة سوق هذه الجملة عقب استقصاء شبهتهم، «وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ» (الفرقان:٧)، «وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا» (الفرقان:٨)، «وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ» (الفرقان:٢١)، «وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً» (الفرقان:٣٢)، ودل على إرادة هذا المعنى من قوله: «بمثل» قوله آنفًا: «ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ» (الفرقان:٩)، عقب قوله: «وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا» (الفرقان:٨)، وتعدي فعل «يأتونك» إلى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم لإفادة أن إتيانهم بالأمثال يقصدون به أن يفحموه. (التحرير والتنوير، لابن عاشور بتصرف).

وقال العلامة ابن عثيمين: المراد بالمثل هنا الصفة يعني لا يأتونك بصفة عن القول يريدون بها إبطال دعوتك إلا جئناك بالحق. إذن فهم يأتون بباطل، لأن قابل قولهم بالحق، فهذا دليل أيضا على أن كل شبهة يحتج بها المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم فهي باطل، ولكن هذا الباطل باطل في ذاته، قد يظهر لبعض الناس بطلانه، وقد يخفى على بعض الناس بطلانه، وهذا من الفتن، أي فتنة الشبهة، يعني ليس كل ما كان باطلاً معلومًا لكل أحد، ولهذا أنت أحيانًا وأنت شخص واحد ينجلي لك الأمر واضحًا في بعض الحالات ويلتبس عليك في بعض الحالات، حسب ما يكون قلبك صافيًا مطمئنًا أو غير ذلك، ومن ثم نهي عن القضاء في حال الغضب، وعن الإفتاء في حال الغضب، وفي حال الحر المزعج، والبرد المؤلم، وما أشبه ذلك؛ لأن الإنسان تحول هذه الأمور بينه وبين العلم بالحق أو إرادة الحق؛ لأن عند الغضب يشتبه عليك الحق، أو ربما لا تريد الحق بل تريد أن تنفذ غضبك فيمن غضبت عليه مثلاً.

فالحاصل: أن كل شبهة يوردها الكفار في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وفيما بعده فهي باطل، وما جاء أحدٌ بباطل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلا جاء الله بالحق. (تفسير ابن عثيمين بتصرف).

وقال الطبري: يقول تعالى ذكره: ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه إلا جئناك من الحق بما نبطل به ما جاءوا، وأحسن منه تفسيرًا، وعنى بقوله: «وأحسن تفسيرًا»، وأحسن مما جاءوا به من المثل بيانًا وتفصيلاً. اهـ.

وقال البغوي:

وَلا يَأْتُونَكَ، يا مُحَمَّدُ يَعْنِي هَؤُلاء المُشْرِكِين، بِمَثَل، يَضْرِبُونَهُ في إبْطَال أَمْرِكَ إِلا جِئْنَاكَ بالحَقِّ، يَعْنِي بِمَا تَرُدُّ بِه مَا جَاؤوا بِه من المثل وتبطله (عليهم)، فَسَمَّى ما يردون من الشَّبَه مثَلا، وَسَمَّى مَا يَدْفَعُ بِه الشَّبَه حقًا، وَأَحْسَنَ تَفْسِيرا، يَعْنِي بيانًا وتفصيلاً، والتفسير: تفْعِيل مِنَ الفَسْرِ وَهُوَ كَشْفُ ما قَدْ غُطِّيَ. اهـ. تفسير البغوي (٣/ ٤٤٥).

وقال ابن عطية في المحرر الوجيز: أخبر تعالى أن

هؤلاء الكفرة لا يجيئون بمثل يضربونه على جهة المعارضة منهم كتمثيلهم في هذه بالتوراة والإنجيل- إلا جاء القرآن بالحق في ذلك أي بالذي هو حق، ثم هو أحسن تفسيرًا، أو أفصح بيانًا وتفصيلاً، ثم أوعد الله تعالى الكفار بما ينزل بهم يوم القيامة من الحشر على وجوههم إلى النار. اهـ.

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: أن كل ذي باطل نجد جواب باطله من القرآن أو نقول ما هو أعم: نجد بيان باطله من الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم نأخذه من قوله: «وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا» (الفرقان:٣٣)، فما من شبهة إلى يومنا هذا ترد إلا وفي كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ما يدحضها، ولكن كما هو معروف ليس كل أحد يدرك ذلك، فالسيف في يد إنسان لا يغني شيئًا ولا ينفعه كالعصا أو أقل، وفي يد إنسان هو سيف بتار يضرب به ويقتل به؛ هكذا أيضًا الوحيُ المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ليس كل أحد يعلمه، ولا كل أحد يستطيع إقامة الحجة منه، ولكن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، ولهذا سُئل علي رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: «لا، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة». قيل: وما في الصحيفة؟ قال: «العقل، وفكاكُ الأسير، وألا يقتل مسلم بكافر». رواه البخاري.

فالحاصل أن الله سبحانه وتعالى يؤتي فضله من يشاء بالنسبة لفهم القرآن، وكم من آية تمر بشخص يستنبط منها عدة مسائل، وآخر لا يستطيع أن يأتي بمسألة، فالناس يختلفون في فهم الكتاب والسنة واستنباط الأحكام من الكتاب والسنة، ولهذا تجد بعض الناس يأتي لك بالآية ويسوق فوائدها، ويمكن أن يُحصل خمس أو عشر فوائد حسب ما في الآية، وآخر يأتي بدلاً من الخمس بخمسين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. (تفسير ابن عثيمين بتصرف).

الفائدة الثانية: التعبير في جانب ما يؤيده الله من الحجة بـ«جئناك» دون: أتيناك كما عُبر عما يجيئون به بـ«يأتونك»: إما لمجرد التفنن، وإما لأن فعل الإتيان إذا استُعمل مجازًا كثر فيما يسوء وما يكره كالوعيد والهجاء وقول الملائكة للوط عليه السلام: «وأتيناك بالحق» أي عذاب قومه، ولذلك قالوا في المجيء الحقيقي: «بل جئناك بما كانوا فيه يمترون». وقال تعالى: «أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا» (يونس:٢٤)، «أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ» (النحل:١). «فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟» (الحشر:٢) بخلاف فعل المجيء إذا استُعمل في مجازه فأكثر ما يستعمل في وصول الخير والوعد بالنصر والشيء العظيم، قال تعالى: «قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ» (النساء:١٧٤)، «وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا» (الفجر:٢٢)، «إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ» (النصر:١)، وفي حديث الإسراء: «..مرحبًا به، ونعم المجيء جاء»، «وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ» (الإسراء:٨١)، وقد يكون متعلق الفعل ذا وجهين باختلاف الاعتبار فيطلق كلا الفعلين نحو: «حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ» (هود:٤٠)، فإن الأمر هنا منظور فيه إلى كونه تأييدًا نافعًا لنوح عليه السلام.

الفائدة الثالثة: ومعنى كونه أحسن في قوله: «إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا» (الفرقان:٣٣) أنه أحق في الاستدلال، فالتفضيل للمبالغة إذ ليس في حجتهم حُسن أو يراد بالحسن ما يبدو من بهرجة سفسطتهم من مغالطاتهم، فيكون التفضيل بهذا الوجه على حقيقته، فهذه نكتة من دقائق الاستعمال ودقائق التنزيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب السنة

إلى الإخلاص يا عباد الله

إعداد:

د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

الحديث:

عن أبي عَبْد اللَّه جابرِ بْن عَبْد اللَّه الأنْصَاريِّ رضيَ اللَّهُ عنْهُمَا قالَ: كُنَّا مع النَّبيِّ صلَى اللَّهُ عَلَيْه وسَلَّم في غزاة فقَالَ: "إنَّ بالْمدينَة لرجالاً ما سرْتُمْ مسيراً، ولاَ قطعْتُمْ وادياً إلاَّ كانُوا معَكُم حبَسَهُمُ الْمَرَضُ".

روايات أخرى:

وَفي روايَة: "إلاَّ شَركُوكُمْ في الأجْر".

وَفي روايَة عَنْ أنَسٍ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: رَجَعْنَا منْ غَزْوَة تَبُوكَ مَعَ النَّبيِّ صَلَى اللهُ عَلَيْه وسَلَّم فَقَالَ: "إنَّ أقْواماً خلْفَنَا بالمدينة مَا سَلكْنَا شعْباً وَلاَ وَادياً إلاَّ وَهُمْ مَعَنَا؛ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ".

تخريج الحديث:

١. رواية جابر رضي الله عنه أخرجها مسلم، كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر (٣/ ١٥١٨)، رقم: (١٩١١).

٢. وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الجهاد بَابُ مَنْ حَبَسَهُ الْعُذْرُ عَنِ الْجِهَادِ - حديث رقم ٢٧٧٨.

٣. رواية أنس رضي الله عنه أخرجها البخاري بلفظ آخر في كتاب الجهاد والسير، باب من حبسه العذر عن الغزو (٣/ ١٠٤٤)، رقم: (٢٦٨٤) ولفظ البخاري بسنده عن أنس، قال: رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلي الله عليه وسلمد. فقال: "إنَّ أقوامًا خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا؛ حبسهم العذر".

٤. وأخرجه أبو داود (٢٥٠٨) بلفظ آخر عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد تركْتُمْ بالمدينة أقوامًا ما سرتُمْ مسيرًا ولا أنفقتُمْ من نفقةٍ ولا قطعتُمْ من وادٍ إلَّا وَهُم معَكُم قالوا: يا رسولَ اللَّهِ وكَيف يكونونَ معَنا وَهُم بالمدينةِ؟ قالَ: حبسَهُمُ المرضُ".

راوي الحديث:

أبوعبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري الخزرجي السلمي بفتح اللام لنسبته إلى سلمة بن سعد.

روي عنه أنه قال: "غزوتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة، ولم أشهد بدرًا ولا أحدًا، منعني أبي، فلما قُتل أبي لم أتخلف عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غزوة قط" (مسلم ١٨١٣).

من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتا، وقال ابن سعد: شهد جابر العقبة مع السبعين، وكان أصغرهم.

وعنه قال: أنا وأبي وخالي من أصحاب العقبة، وكان أبوه يومئذ أحد النقباء.

وكان من ساداتهم وفضلائهم المتحفين بحبّ رسول الله.

وعنْ جابِرٍ قالَ اسْتغْفر لي رسُولُ اللّه صلّى اللّهُ عليْه وسلّم ليْلة الْبعِير خمْسًا وعِشْرِين مرّةً (قالَ أبو عِيسَى: هذا حديثٌ حسنٌ صحِيحٌ غرِيبٌ).

وقال جابر: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية: "أنتم اليوم خير أهل الأرض، وكنا ألفاً وأربعمائة".

وقال جابر: عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا لا أعقل، فتوضأ وصبّ عليّ من وضوئه فعقلت.

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف وخمسمائة وأربعون حديثاً، اتفقا منها على ستين، وانفرد البخاري بستة عشر، ومسلم بمائة وستة وعشرين، ومن مناقبه في ذلك يروى أنه رحل في حديث القصاص إلى مصر ليسمعه من عبد الله بن أنيس.

توفي بالمدينة بعد أن كُفّ بصره سنة ثلاث وسبعين وهو ابن أربع وتسعين سنة، وصلى عليه أبان بن عثمان، وكان والي المدينة، وجابر آخر الصحابة موتًا بالمدينة رضي الله عنه.

(مستفاد من سير أعلام النبلاء من ترجمة جابر ٣/١٩٠، والاصابة لابن حجر، وأسد الغابة لابن الأثير).

شرح الحديث

١- قوله: (كنا مع النبي في غزاة) هي غزوة تبوك كما صرحت به رواية البخاري رحمه الله.

وفي "النهاية" غزا يغزو غزوًا فهو غازٍ، والغزوة: المرة من الغزو، والاسم الغزاة.. اهـ (وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الموعود إشارة وتطيباً لخاطر أولئك النفر الذين أتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون ما يحملهم عليه من رواحل للمشاركة في الغزو وكان بعضهم فقراء، وبعضهم من ذوي الأعذار التي لا يتمكنون معها من الخروج معه، فيقول لهم النبي صلي الله عليه وسلم : لا أجد ما أحملكم عليه، فيتولون ويرجعون إلى أهليهم تفيض أعينهم من الدمع، ألا يجدوا ما ينفقون، فكانت هذه البشارة من النبي صلى الله عليه وسلم لأمثال هؤلاء خاصة ولباقي المسلمين عامة.

٢- قوله: "ما سرتم مسيرًا": أي: سيرًا، أو في مكان سيرٍ؛ فهو مصدر ميمي أو اسم مكان.

٣- قوله: "ولا قطعتم واديًا": قال الأصفهاني في مفرداته (٨٦٢): أصل الوادي: الموضع الذي يسيل فيه الماء، ومنه سُمّي المفرَجُ بين الجبلين وادياً. وجمعه: أودية. اهـ.

قال ابن علان في دليل الفالحين شرح رياض الصالحين ١/٣٥-: فيه إشارة إلى قوله تعالى: « ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ » (التوبة: ١٢٠- ١٢١).

٤- (إلا كانوا معكم) أي: شركوكم في الأجر كما

في الرواية الثانية: "وكان لهم مثل أجركم": لصحة نيتهم في مباشرة كل ما باشره إخوانهم المجاهدون.

٥- قوله: "حبسهم المرض": (أي: منعهم (المرض)؛ فلصحة النية أعطاهم الله مثل أجر المباشر للعمل.

وليس المقصود: أنّ الأجر لا يحصل إلا لمن حبسه المرض فقط؛ بل يشمل كل من حبسه عذر، ويدل على ذلك رواية البخاري حيث قال: "حبسهم العذر". والعذر هو: الوصف الطارئ على المكلف المناسب للتسهيل عليه.

قال ابن حجر: والمراد بالعذر: ما هو أعمّ من المرض، وعدم القدرة على السفر، وقد رواه مسلم من حديث جابر بلفظ: "حبسهم المرض"، وكأنه محمول على الأغلب. اهـ.

٦- وقوله في رواية (إلا شركوكم) بكسر الراء (في الأجر) بدل قوله: إلا كانوا معكم. وقال النووي: قال أهل اللغة: شركه -بالكسر- بمعنى: شاركه. اهـ.

٧- قوله: "خلفنا": قال ابن حجر: بسكون اللام؛ أي: وراءنا. وضبطه بعضهم: بتشديد اللام وسكون الفاء. اهـ.

٨- قوله في رواية البخاري: "شعباً": قال الراغب الأصفهاني في مفرداته (٤٥٥): والشِّعْبُ من الوادي: ما اجتمع منه طرف وتفرّق طرف.

وقال القسطلاني: بكسر الشين المعجمة، وسكون العين المهملة، بعدها موحدة: طريقاً في الجبل.

(ينظر دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لابن علان، نشر دار الكتاب العربي: ٣٥/١، نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، نشر: مؤسسة الرسالة، بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، للهلالي، نشر: دار ابن الجوزي).

فوائد الحديث:

١- النية وأثرها: قال النووي: "في هذا الحديث فضيلة النية في الخير، وأن من نوى الغزو وغيره من الطاعات؛ فعرض له عذرٌ منعه، حصل له ثواب نيته، وأنه كلما أكثر من التأسف على فوات ذلك، وتمنى كونه مع الغزاة ونحوهم كثر ثوابه". اهـ. وسيأتي مزيد بحث لهذه الفائدة إن شاء الله.

٢- الحث على تعلم النية: قال الإمام ابن رجب: "وكان بعض السلف يحب أن يتعلم الناسُ أحكامَ النيات، كما قال يحيى بن أبي كثير: " تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل"(جامع العلوم ص ٧٠).

وقال ابن أبي جمرة (وهو من شراح البخاري): " وددتُ أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يُعلِّم الناسَ مقاصدهم في أعمالهم، ويقعد في تدريس أعمال النيات ليس إلا، فإنه ما أُتيَ على كثير من الناس إلا من تضييع ذلك". ولا أحبّ أن أضيّع صدقَ كلامهم بعيب كلامي لكنه كلام من ذهب أرجو أن يكون محلاً للدراسة من إخواني، ونسأل الله أن يرزقنا بركته.

٣- فيه حرص الصحابة رضي الله عنهم على الجهاد، وعدم تخلفهم عنه بغير عذر ومثاله أولئك الذين قال الله فيهم: (وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ) (التوبة: ٩٢).

٤- وفيه أنّ النية الصالحة تبلغ ما يبلغ العمل، وأنّ من فضل الله عز وجل إثابة العبد إذا عجز عن القُربة والطاعة مع عزمه عليها.

٥- وفيه أنه ينبغي للداعية إلى الله استثمار الفرص في الدعوة، فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ورغّبهم في إصلاح النية أثناء رجوعه من غزوة تبوك إلى المدينة خاصة بعد فضائل الأعمال.

٦- وفيه أنّ من خصائص دين الإسلام: اليُسر، والسماحة، ورفع الحرج؛ حيث رفع الحرج عمن منعه من الخروج للجهاد عذرٌ.

٧- مسألة: سؤال هل يحصل لمن نوى العمل الصالح وتخلف عنه هل يحصل له أجر؟

الجواب: يمكن تقسيم من تخلف عن العمل

الصالح بعد أن نواه وهمَّ به إلى قسمين:

القسم الأول: من كان من عادته القيام بالطاعة في حال عدم العذر، ثم عجز عنه، مع رغبته فيه، فإنه يُكتب له أجر العمل كاملاً.

والدليل على ذلك: ما خرّجه البخاري (٢٩٩٦) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا مرض العبد أو سافر، كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً".

القسم الثاني: من ليس من عادته عمل هذه الطاعة في حال عدم العذر؛ ولكنه همَّ بعملها، وهذا أحد حالين:

الحالة الأولى: أن يهم بالطاعة ثم يتركها كسلاً وتهاوناً؛ فهذا يُثاب على الهمّ الأول، ولكن لا يُثاب على الفعل؛ لأنه لم يفعله بدون عذر.

والدليل على ذلك: حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: قال: "إنّ الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات؛ ثم بيّن ذلك: فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملة، فإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة...".

الحالة الثانية: أن يقترن بالنية قولٌ أو سعيٌ بأسبابها، ولكن لم يدرك هذا العمل؛ فهذا وقع فيه نزاع بين أهل العلم على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه يُكتب له الأجر كاملاً مع المضاعفة، وهو اختيار القرطبي في أحكام القرآن (٥ / ٣٢٥)، شرح صحيح مسلم في المفهم (٣/ ٧٤٥).

القول الثاني: أنّ له أجر النية فقط، وهو اختيار السبكي الكبير فيما نقله ابن حجر في الفتح (٦/ ١٥٩).

القول الثالث: أنه يكتب له أجر النية مع العمل دون المضاعفة، وهو اختيار ابن رجب رحمه الله في جامع العلوم والحكم ص٣٠٩، قال ابن رجب رحمه الله: "فالمضاعفة يختص بها من عمل العمل دون مَن نواه، ولم يعمله، فإنهما لو استويا من كل وجه لكتب لمن همّ بحسنة ولم يعملها عشر حسنات، وهو خلاف النصوص كلها".

وهذا القول هو الأحظى بالأدلة الأوضح في دلالتها والأكثر في عددها كتابًا وسُنة، نكتفي منها بقوله تعالى: « لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » (النساء: ٩٥).

وجه الاستدلال: أن الله سبحانه نفى في هذه الآية التسوية بين المؤمنين القاعدين عن الجهاد وبين المجاهدين، ثم أخبر عن تفضيل المجاهدين على القاعدين من أولي الضرر بدرجة، وتفضيل المجاهدين على القاعدين من غير أولي الضرر بدرجات.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: القاعدون المفضَّل عليهم المجاهدون درجة هم القاعدون من أهل الأعذار، والقاعدون المفضَّل عليهم المجاهدون درجات هم القاعدون من غير أهل الأعذار وهو ما تعرض له ابن القيم رحمه الله في كتابه الماتع (طريق الهجرتين: ص٩٣٦)، وقد أطال الكلام حولها فليراجع تفضلاً للفائدة.

واختصارًا لما قال فإنه قد ذكر الأدلة والاعتراضات، ثم ذهب إلى أن العازم على الجهاد وغلبه عذره، وأقعده عنه، ونيته جازمة لم يتخلف عنها مقدورها، وانما أقعده العجز؛ فهذا الذي تقتضيه الأدلة أنّ له مثل أجر المجاهد..

ومن ذلك قوله: "لأن قاعدة الشريعة أن العزم التام إذا اقترن به ما يمكن من الفعل، أو مقدمات الفعل نُزِّل صاحبه في الثواب والعقاب منزلة الفاعل التامِّ..". ثم استشهد على كلامه. (ينظر: جامع العلوم ص ٣٠٩، طريق الهجرتين ص٩٣٦).

والحمد لله رب العالمين

فقه المرأة في النكاح

الحلقة
(٣٨)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد بدأنا بفضل الله تعالى في المقالة السابقة في فقه المرأة في النكاح، وذكرنا تعريف النكاح، والترغيب في النكاح، وحكمة النكاح، وحكم النكاح، ونستكمل ما بدأناه سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

أولاً: معنى الخطبة:

خُطب يخطُب خِطبة-بالكسر- فهو خاطب، والاسم منه الخِطبة أيضًا. فأما الخُطبة بالضم فهو من القول والكلام.

يقال: خطب إلى فلان فخطبه وأخطبه، أي: أجابه. (النهاية: ص:٢٧٠- باب الخاء مع الطاء).

ثانيا: حكم خطبة المعتدة:

المرأة تعتد في ثلاثة أحوال:

الأول: أن تكون معتدة من طلاق رجعي، ويطلق عليه الطلقة الأولى والثانية، وهذه يحرم خطبتها أو التعريض لها بالخطبة؛ لأنها زوجة، وجاز للزوج أن يراجعها في أيَ وقت أثناء عدتها، وهذا مُجمَع عليه من أهل العلم.

قال تعالى: « وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا » (البقرة: ٢٢٨).

الحال الثاني: أن تكون معتدة من طلاق بائن؛ أي طلقت التطليقات الثلاث، فهذه لا يجوز خطبتها، واختلفوا في التعريض بالخطبة. فذهب جماهير العلماء: المالكية والشافعية والحنابلة إلى جواز التعريض بخطبتها.

لقَول الله تعَالى: « وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ » (البقرة: ٢٣٥).

ولقوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس: « إذا حلَلت فآذنيني » (أخرجه مسلم: ١٤٨٠)، وفي لفظ « لا تَفُوتِينا بنَفْسك » صحيح سنن أبي داود (٢٢٨٤).

بينما منَع الحنفية التعريض بخطبة المعتدة من طلاق بائن، مستدلين بدليل عقلي وهو وقوع العداوة والبغضاء بين الزوج والزوجة المطلقة، ومن المعلوم أن النص مقدم على العقل.

الثالث: أن تكون معتدة من وفاة الزوج، فهذه لا يجوز خطبتها إجماعًا، ولكن يجوز التعريض لها بالخطبة كما جاءت الآية صريحة بذلك.

قال تعالى: « وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ » (البقرة:

٢٣٥).

أقوال أهل العلم في المسألة:

جاء في تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي (٣/ ٣٦): وأما إذا كانت معتدة عن طلاق فلا يجوز التعريض؛ لأنه إن كان رجعيا فالزوجية قائمة، وإن كان بائنا فلا يمكن التعريض على وجه لا يقف عليه الناس؛ لأنها لا تخرج ليلا ولا نهارا، والإظهار بذلك قبيح، وفيه تحصيل ما يوجب البعض، والعداوة بينه وبين الزوج، وكذا بينها وبين الزوج، ولا يتحقق ذلك في المتوفى عنها زوجها.

جاء في مواهب الجليل (٣/ ٤١٢): وحرم التصريح بخطبة المعتدة ومواعدتها سواء كانت عدتها من طلاق، أو وفاة، قال ابن عرفة: وصريح خطبة المعتدة حرام. قال أبو عمر: إجماعا وحرم مواعدتها، والتصريح التنصيص.

ودليل ذلك قوله تعالى ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٣٥)؛ فتضمنت الآية جواز التعريض وما يضمر في النفس والمنع من المواعدة والنكاح.

جاء في المجموع شرح المهذب (١٦/ ٢٥٦): ويجوز التعريض بخطبة المعتدة عن الوفاة والطلاق الثلاث؛ لقوله تعالى: ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء﴾... ويحرم التصريح بالخطبة، لأنه لما أباح التعريض دل على أن التصريح محرم؛ ولأن التصريح لا يحتمل غير النكاح، فلا يؤمن أن يحملها الحرص على النكاح فتخبر بانقضاء العدة، والتعريض يحتمل غير النكاح فلا يدعوها إلى الإخبار بانقضاء العدة.

جاء في المغني لابن قدامة (٧/ ١٤٧): وجملة ذلك أن المعتدات على ثلاثة أضرب؛ معتدة من وفاة، أو طلاق ثلاث، أو فسخ لتحريمها على زوجها، كالفسخ برضاع، أو لعان، أو نحوه مما لا تحل بعده لزوجها، فهذه يجوز التعريض بخطبتها في عدتها؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ (البقرة: ٢٣٥).

ولما روت فاطمة بنت قيس «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها لما طلقها زوجها ثلاثا: إذا حللت فآذنيني. وفي لفظ: لا تسبقيني بنفسك. وفي لفظ: لا تفوتينا بنفسك». وهذا تعريض بخطبتها في عدتها. ولا يجوز التصريح؛ لأن الله تعالى لما خص التعريض بالإباحة، دل على تحريم التصريح، ولأن التصريح لا يحتمل غير النكاح، فلا يؤمن أن يحملها الحرص عليه على الإخبار بانقضاء عدتها قبل انقضائها، والتعريض بخلافه. القسم الثاني، الرجعية، فلا يحل لأحد التعريض بخطبتها، ولا التصريح؛ لأنها في حكم الزوجات، فهي كالتي في صلب نكاحه.

القسم الثالث، بائن يحل لزوجها نكاحها، كالمختلعة، والبائن بفسخ لعيب أو إعسار ونحوه، فلزوجها التصريح بخطبتها والتعريض؛ لأنها مباحة له نكاحها في عدتها، فهي كغير المعتدة.

جاء في المحلى لابن حزم (٩/ ٦٨): ولا يحل لأحد أن يخطب امرأة معتدة من طلاق أو وفاة، فإن تزوجها قبل تمام العدة فسخ أبدا- دخل بها أو لم يدخل، طالت مدته معها أو لم تطل- ولا توارث بينهما، ولا نفقة لها عليه، ولا صداق ولا مهر لها.

قال الحافظ في الفتح (٩/ ٨٥): باب: قول الله عز وجل: «ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم» الآية. قال: وفي الباب حديث صحيح مرفوع وهو قوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس «إذا حللت فآذنيني» أخرجه مسلم (١٤٨٠)، وفي لفظ «لا تفوتينا بنفسك» صحيح سنن أبي داود (٢٢٨٤).

واتفق العلماء على أن المراد بهذا الحكم من مات عنها زوجها، واختلفوا في المعتدة من الطلاق البائن وكذا من وقف نكاحها، وأما الرجعية فقال الشافعي: لا يجوز لأحد أن يعرض لها بالخطبة فيها.

والحاصل أن التصريح بالخطبة حرام لجميع المعتدات.

والتعريض يجوز للأولى (أي المعتدة من عدة الوفاة)، وحرام في الأخيرة (أي المعتدة من طلاق رجعي)، ومختلف فيه في البائن.

قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٢٤): "أجمع العلماء على أن الحر إذا طلق زوجته الحرة، وكانت مدخولا بها تطليقة أو تطليقتين، أنه أحق برجعتها ما لم تنقض عدتها وإن كرهت المرأة، فإن لم يراجعها المطلق حتى انقضت عدتها فهي أحق بنفسها وتصير أجنبية منه، لا تحل إلا بخطبة

ونكاح مستأنف بولي وإشهار، ليس على سنة المراجعة، وهذا إجماع من العلماء. انتهى.

جاء في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/١٨٧).

قال ابن عطية: أجمعت الأمة على أن الكلام مع المعتدة بما هو نص في تزوجها وتنبيه عليه لا يجوز، وكذلك أجمعت الأمة على أن الكلام معها بما هو رفث وذكر جماع أو تحريض عليه لا يجوز، وكذلك ما أشبهه، وجُوِّز ما عدا ذلك. ومن أعظمه قربًا إلى الصريح قول النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس... وساق الحديث كما ذكره الحافظ ثم قال: وأما من كانت في عدة البينونة: فالصحيح جواز التعريض لخطبتها. والله أعلم.

تعقيب وترجيح

والذي تطمئن إليه النفس وينشرح له الصدر هو ما ذهب إليه جماهير العلماء (المالكية والشافعية والحنابلة) من جواز التعريض بخطبة المعتدة من وفاة أو من طلاق بائن للآية والحديث كما ذكرنا سابقًا، والله تعالى أعلم.

ثالثًا: النظر إلى المخطوبة:

- عن أبي هريرة قال: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا؟ قَالَ: لاَ قَالَ: فَاذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الأَنْصَارِ شَيْئًا. أخرجه مسلم (١٤٢٤).
- وعن سهل بن سعد الساعدي قال: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ أَهَبُ لَكَ نَفْسِي قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَصَعَّدَ النَّظَرَ فِيهَا وَصَوَّبَهُ، ثُمَّ طَأْطَأَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَأْسَهُ... أخرجه البخاري (٥٠٨٧) ومسلم (١٤٢٥).
- وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمُ الْمَرْأَةَ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ» صحيح سنن أبي داود (٢٠٨٢) وغيره.

ذهب جمهور أهل العلم إلى جواز أن ينظر الرجل إلى المرأة التي يرغب في خطبتها، وحجتهم في ذلك أحاديث الباب وهي صحيحة صريحة، ولم يأت في الأحاديث تعيين مواضع النظر، والجمهور- منهم الأئمة الأربعة- على جواز النظر إلى الوجه والكفين فقط.

قال الإمام النووي في شرح مسلم (٥/٢٢٧): قوله

صلى الله عليه وسلم للمتزوج من امرأة من الأنصا
«أنظرت إليها؟ قال: لا قال: فاذهب فانظر إليها فإ
في أعين الأنصار شيئًا».

قال: وفيه استحباب النظر إلى وجه من يريا
تزوجها، وهو مذهبنا ومذهب مالك وأبي حنيف
وسائر الكوفيين وأحمد وجماهير العلماء.

وحكى القاضي عن قوم كراهته، وهذا خطأ مخالف
لصريح هذا الحديث ومخالف لإجماع الأمة عل
جواز النظر للحاجة عند البيع والشراء والشهاد
ونحوها، ثم إنه إنما يُباح له النظر إلى وجهه
وكفيها فقط؛ لأنهما ليسا بعورة، ولأنه يستدل
بالوجه على الجمال أو ضده وبالكفين على خصوب
البدن أو عدمها. هذا مذهبنا ومذهب الأكثرين.

وقال الأوزاعي: ينظر إلى مواضع اللحم.

وقال داود: ينظر إلى جميع بدنها. وهذا خطأ ظاه
منابذ لأصول السنة والإجماع.

ثم مذهبنا ومذهب مالك وأحمد والجمهور أنه
يشترط في جواز هذا النظر رضاها، بل له ذلك
غفلتها ومن غير تقدم إعلام، لكن قال مالك: أكر
النظر في غفلتها مخالفة من وقوع نظره على عور
وعن مالك رواية ضعيفة أنه لا ينظر إليها إلا بإذنه
وهذا ضعيف؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ق
أذن في ذلك مطلقًا، ولم يشترط استئذانها، ولأن
تستحي غالبًا من الإذن، ولأن في ذلك تغرير
فربما رآها فلم تعجبه فيتركها فتنكسر وتتأذ
ولهذا قال أصحابنا: يستحب أن يكون نظره إلي
قبل الخطبة حتى إن كرهها تركها من غير إيذا
بخلاف ما إذا تركها بعد الخطبة، والله أعلم.

قال الخطابي في معالم السنن (٣/١٦٨): قال الشي
إنما أبيح له النظر إلى وجهها وكفيها فقط ولا ينظ
إليها حاسرًا، ولا يطلع على شيء من عورتها، وسو
كانت أذنت له في ذلك أو لم تأذن، وإلى هذه الجمل
ذهب الشافعي وأحمد بن حنبل، وإلى نحو هذا أش
سفيان الثوري.

قال الطحاوي في شرح معاني الآثار (٢/٣٧٣): بع
أن ذكر جملة من الآثار منها أحاديث الباب، قا
وإذا ثبت أن النظر إلى وجه المرأة ليخطبها حلا
خرج بذلك حكمه من حكم العورة، ولأنا رأينا ما ه
عورة لا يباح لمن أراد نكاحها النظر إليها.

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

من الأحداث المهمة في تاريخ الأمة

معركة صفين (٢)

إعداد عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فقد انتهى بنا اللقاء السابق إلى بيان الأسباب التي أدَّت إلى وقوع النزاع بين أهل الشام بقيادة معاوية رضي الله عنه وأهل العراق بقيادة علي رضي الله عنه حتى التقى الجيشان في مكان يقال له صفين من سوريا بأرض الشام. وكان ذلك بسبب اختلاف الصحابة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه؛ فمعاوية ومَن معه توقَّفُوا عن مبايعة الخليفة علي رضي الله عنه حتى يُسَلِّمهم قَتَلة عثمان ،وكانوا بين جيشه ، ليقتصُّوا منهم. بينما كان علي رضي الله عنه ومن معه يرون البيعة أولًا واجتماع الأمَّة على إمام هذا أَولى وأصحّ، واعتبروا معاوية ومن معه بغاة.

فكانوا يرون سرعة القصاص مِن قتلة عثمان، وفريق آخر من الصحابة اعتزل الفتنة ولم يشارك فيها كسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وعبد الله بن عمر، ومن وافقهم رضي الله عنهم، وكل هؤلاء رضي الله عنهم اجتهدوا؛ فَهُم بين أجرٍ وأجرين، وكلهم من أهل الجنة، ولا نزاع في ذلك.

ونحن يجب علينا أن نُمسك عمّا شجر بينهم، ورحم الله الإمام القرطبي حين قال في تفسيره من سورة الحجرات في المسألة العاشرة: «لا يجوز أن يُنسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به؛ إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه، وأرادوا الله عز وجل، وهم كلهم لنا أئمة وقد تعبّدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذِّكر؛ لحرمة الصُّحبة، ولنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سبِّهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم».

ثم نقل قول الحسن البصري رحمه الله حين سُئل عن قتالهم قال: "قتال شهده أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم، وغبْنا عنه وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا واختلفوا فوقفنا". هذا اختصار لما ذكرنا في اللقاء السابق وبيان توقفنا فيما شجر بين الصحب الكرام، ثم نواصل ذكر الأحداث كما يلي:

أولا: حرب الأيام التسعة:

استمرت المعارك بين الفريقين: فريق الشام وفريق العراق تسعة أيام من القتال بين الكرّ والفرّ والاستراحة والهدنة بدأت بيوم الأربعاء غرة شهر صفر سنة ٣٧هـ الموافق ٦٥٧/٧/٢٦م، وتوقفت المعركة يوم الجمعة العاشر من صفر بعد ليلة من القتال العنيف أطلق عليها المؤرخون ليلة الهدير؛ لشدة الأصوات التي ارتفعت فيها أصوات التحام المقاتلين والتقاء السيوف والرماح التي تحطمت، ولم يبق إلا تشابك المقاتلين بالأيدي والأسنان، ولك أن تتخيل عنف هذه المعركة وعدد القتلى فيها، ويُصنف ابن كثير في البداية والنهاية جانبًا من المعركة فيقول: "وتعاضوا بالأسنان، يقتتل الرجلان حتى يُثخنا، ثم يجلسان يستريحان، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولم يزل كذلك دأبهم حتى أصبحوا نهار الجمعة، وصلوا الصبح إيماءً وهم في القتال حتى اتضح النهار وتوجه النصر لأهل العراق).

ثانيًا: ظهور أصوات العقل والحكمة والدعوة إلى التحكيم:

بعد الذي حدث في ليلة الهدير من اقتتال بلغ ذروته، ومن تحرى القتل في صفر في الجيشين خشي القوم على أنفسهم الهلاك، لو استمر الحال بينهم على ذلك؛ فظهرت أصوات من الطرفين تنادي بوقف القتال حتى لا تضعف الأمة، ويطمع فيها الأعداء، ومن هنا ظهرت فكرة التحكيم أو الاحتكام إلى كتاب الله وشرعه بواسطة حكمين يرضاهما الطرفان. وهو ما عُرف بين المؤرخين بقضية التحكيم.

وباعتراف المحققين المنصفين من المؤرخين، فهذه القضية قيل فيها كلام كثير معظمه باطل أو مكذوب ومفترى يُقصد به الإساءة إلى طرف على حساب طرف آخر. ونحن بعون الله سنتحرى أقرب الروايات إلى الصواب، والله المستعان.

ومن الروايات التي لا يُتَّهم أصحابها بهوى: رواية الإمام أحمد بن حنبل من طريق حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أحد رجال علي بن أبي طالب، فقال: كنّا بصفين، فلما استحرّ القتل بأهل الشام قال عمرو لمعاوية: أرسل إلى عليّ المصحف؛ فادعه إلى كتاب الله فإنه لا يأبى عليك، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (آل عمران: ٢٣) فقال علي: نعم أنا أولى بذلك. فقام القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج: بأسيافهم على أكتافهم. فقالوا: يا أمير المؤمنين ألا نمشي إلى هؤلاء حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقام سهل بن حنيف الأنصاري رضي الله عنه فقال: أيها الناس اتّهموا أنفسكم، فقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا. وذلك في الصلح الذي بين رسول الله وبين المشركين، ثم حدّثهم عن معارضة عمر رضي الله عنه للصلح يوم الحديبية ونزول سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عليّ: "إن هذا فتح فقبل القضية ورجع، ورجع الناس" (مسند أحمد مع الفتح الرباني).

وأظهر سهل بن حنيف رضي الله عنه اشمئزازه ممن يدعون إلى استمرار الحرب بين الإخوة. وقال: أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم (البخاري ٤١٨٩).

وفي هذه الرواية الصحيحة ردٌّ على دعاة الفتنة من مبغضي الصحابة الذين يضعون الأخبار المكذوبة، وينتحلون الأشعار وينسبونها إلى أعلام الصحابة والتابعين الذين شاركوا في صفين ليُظهروهم بمظهر المتحمِّس لهذه الحرب ليزرعوا البغضاء في النفوس، ويعملوا ما في وسعهم على استمرار الفتنة (وهذه الرواية التي رواها الإمام أحمد كذلك رواها ابن أبي شيبة ولها شاهد عند الإمام البخاري).

ثالثاً: قبول التحكيم استجابة لصوت الحكمة:

إن الدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى معاوية وقبول التحكيم دون التأكيد على دخول معاوية في طاعة علي والبيعة له؛ تطوُّر فرضته أحداث حرب صفين؛ إذ إنها التي أودت بحياة الكثير من المسلمين، أبرزت اتجاها جماعيًا رأى أن وقف القتال وحقن الدماء ضرورة تقتضيها حماية شوكة الأمة وصيانة قوتها أمام عدوها، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيها وأثرها في اتخاذ القرار (دراسة في تاريخ الأمويين، ص٣٨).

رابعاً: نص وثيقة التحكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

١) هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما فيما تراضيا فيه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

٢) قضية علي على أهل العراق شاهدهم وغائبهم، وقضية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم.

٣) إنا تراضينا أن نقف عند حكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته نحيي ما أحيا ونميت ما أمات؛ على ذلك تقاضينا وتراضينا.

٤) وإن عليًا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعري) ناظرًا وحاكمًا، ورضي معاوية بعمرو بن العاص ناظرًا وحاكمًا.

٥) على أن عليًا ومعاوية أخذا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله، أن يتخذا القرآن إمامًا ولا يعدو به إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطورًا وما لم يجدا في الكتاب ردّاه إلى سنة رسوله الجامعة، ولا يتعمدان لها خلافًا، ولا يبغيان لها بشبهة.

٦) وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على عليّ ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به، مما في كتاب الله وسنة نبيه وليس لهما أن ينقضا ذلك، ولا يخالفاه إلى غيره.

٧) وهما آمنان في حكومتهما على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهاليهما وأولادهما، لم يعدوا الحق رضي به راض أو سخط ساخط، وأن الأمة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما في كتاب الله.

٨) فإن توقف أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة، فلنبعثه وأنصاره أن يختاروا مكانه رجلاً من أهل العدل والصلاح، على أيّ ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق.

٩) وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود من هذه القضية، فلشيعته أن يولوا مكانه رجلا يرضون عدله.

١٠) وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح.

١١) وقد وجبت القضية على ما سميناه في هذا الكتاب، من موقع الشرط على الأميرين والحكمين والفريقين، والله أقرب شهيد وكفى به شهيدًا، فإن خالفا وتعديا فالأمة بريئة من حكمهما، ولا عهد لهما ولا ذمة.

١٢) والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم إلى انقضاء الأجل، والسلاح موضوع، والسُّبل آمنة، والغائب من الفريقين مثل الشاهد من الأمر.

١٣) وللحكمين أن ينزلا منزلا متوسطا عدلا بين أهل العراق والشام.

١٤) ولا يحضرهما فيه إلا من أحبا عن تراضٍ منهما.

١٥) والأجل إلى انقضاء شهر رمضان؛ فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة عجّلاها وان رأيا تأخيرها إلى آخر الأجل أخّراها.

١٦) فإن هما لم يحكما بما في كتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الأجل؛ فالفريقان على أمرهم الأول في الحرب.

١٧) أما هذا البند السابع عشر خاص بالشهود وهم جمع كبير من الصحابة الأبرار وعلى رأسهم الحسن والحسين ابنا علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب من شيعة علي رضي الله عنه، وحبيب بن مسلمة الفهري وأبو الأعور السلمي، وبسر بن أرطأة القرشي ومعاوية بن خديج الكندي من شيعة معاوية رضي الله عنه، وجمع كبير من هؤلاء وهؤلاء واكتفينا بما ذكرنا اختصارًا وكتبت هذه الوثيقة يوم الأربعاء السابع عشر من صفر سنة ٣٧هـ (راجع البداية والنهاية).

خامساً: تحقيق روايات التحكيم:

لما كان لحادث التحكيم بين المتقاتلين في صفين من أهمية بالغة في وقف نزيف الدماء بين المسلمين ولما ترتب عليه في تاريخ الدولة الإسلامية السياسي اهتم المحققون من النقاد في نقد رواياته وتحقيقها، وبيان الضعيف منها والموضوع والمقبول، وخصوصًا بعد ما اشتهر بين الناس من رواية الإمام الطبري

التي اتهمت بعض الصحابة بالدهاء والمكر والخديعة وبعضهم بالبلاهة والغفلة، والبعض الآخر بالصراع على السلطة.

ويكفي لإثبات ضعف تلك الرواية ما ذكره النقاد عن سندها واضطراب متنها وقد اهتم د: محمد أمحزون في كتابه المفيد: «تحقيق مواقف الصحابة في الفتن» بهذا الأمر اهتمامًا بالغًا ونقل أقوال أهل العلم فقال: (وقد سبق العلماء المختصون بتصحيح الروايات إلى نقد الرواية الشائعة عن التحكيم عند الإمام الطبري)، وعلى رأسهم القاضي أبو بكر بن العربي الذي قال عنها: «وقد تكلم الناس في التحكيم فقالوا فيه ما لا يرضاه الله. وإذا لحظتموه بعين المروءة-دون الديانة- رأيتم أنها سخافة، حمل على سطرها في الكتب في الأكثر عدم الدين، وفي الأقل جهل متين». وكان أبو موسى تقيًا ثقفًا فقيهًا عالمًا حسبما بيّناه في كتاب: «سراج المريدين» أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن مع معاذ وقدمه عمر وأثنى عليه بالفهم، وزعمت الطائفة الركيكة أنه كان أبله، ضعيف الرأي، ومخدوعًا في القول، وأن ابن العاص كان ذا دهاء وأرب حتى ضربت الأمثال بدهائه تأكيدًا لما أرادوا من فساد. اتّبع في ذلك بعض الجهال طبعًا، وصنّفوا فيه حكايات. وهذا كله كذب ما جرى منه حرف قط، وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة، ووضعه المؤرخون للملوك فتوارثه أهل المجانة والجهالة بمعاصي الله والبدع. (من العواصم). اهـ.

ثم واصل الدكتور محمد نقوله من كلام أهل العلم فقال: وقال ابن دحية الكلبي في كتابه (أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين) قال أبو بكر محمد بن الطيب الأشعري- الباقلاني- وعلى أنهما لو اتفقا على خلعه حتى يكون الكتاب والسنة المجتمع عليهما يوجبان خلعه أو أحد منهما على ما شرط في الموافقة بينهما، أو إلى أن يبينا ما يوجب خلعه من الكتاب والسنة، وهذا ما نصت عليه وثيقة التحكيم كما سبق بيانه، وأكمل الباقلاني كلامه فقال: والكتاب والسنة يُثْبتان إمامة علي رضي الله عنه، ويُثنيان عليه ويُعظمانه ويشهدان بصدقه وعدالته وقرابته من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وما خُصّ به من القدم في العلم والمعرفة بالحكم، ووفور الحلم، وأنه حقيقٌ بالإمامة وأهلٌ لحمل أعباء الخلافة. اهـ. (بتصرف يسير من كلام الباقلاني).

ثم عقب الدكتور محمد أمحزون بقوله: "ومن الملاحظ أن التحكيم كان سببًا مباشرًا في الخلاف بين علي رضي الله عنه والخوارج، وقد انتهى أمرهم إلى أن قاتلهم رضي الله عنه فهزمهم في موقعة النهروان هزيمة نكراء، فبيتوا أن يقتلوه، فما أمكنهم إلا أن اغتالوه، فاستشهد رضي الله عنه في صلاة الفجر من يوم الجمعة بسبع بقين من شهر رمضان سنة ٣٧هـ حين طعنه (أشقى الآخرين) عبد الرحمن بن ملجم الخارجي، وكلف الخوارج من يقتل معاوية وعمرو بن العاص، وبدأت الفتن تجتاح الأمة، ولم يَعُد من سبيل للعودة إلى طريق القويم الذي أراد الحكمان أن يضعا الأمة عليه، ويحلا الخلاف بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنصارهم من خلاله) انتهت نقول د. محمد أمحزون وتعليقاته والتي أثبتت دحض الروايات المكذوبة، كما أثبتت صدق الحكمين فيما ذهبا إليه وصدق أصحاب الشام بقيادة معاوية رضي الله عنه، وصدق علي رضي الله عنه ومن معه، ورغبة الجميع في الصلح وحقن الدماء.

وإن كان لنا من قول نختتم به هذا اللقاء؛ فإننا نضيف ليس التحكيم هو سبب الخلاف بين علي رضي الله عنه والخوارج في المقام الأول، وإنما أصل الخلاف في اتباع الهوى والبعد عن منهج الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة، وهذا الهوى جعل الروافض يرون الأخبار الكاذبة التي تسيء إلى أصحاب النبي رضي الله عنهم واتباع الهوى كذلك جعل الخوارج الذين كانوا يسمون القراء قبل خروجهم على عليّ رضي الله عنه؛ لأنهم كما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم: «يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم»، ولذلك تجرأوا على تكفير المسلمين بل كفّروا الصحابة مثل علي، ومعاوية وعمرو بن العاص فدبّروا قتلهم فنجحوا في اغتيال عليّ ولم يتمكّنوا من قتل معاوية وعمرو بن العاص لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى، وهكذا يتلاعب الهوى بأصحابه، ويجنح بهم عن سواء السبيل.

نسأل الله أن يجنِّبنا اتباع الأهواء، وأن يرزقنا وإياكم الثبات على دينه الحق إلى يوم أن نلقاه.

كلمة التحرير

الأزهر الشريف يدحض خطاب الكراهية لماكرون ضد الإسلام والمسلمين

إعداد **جمال سعد حاتم**

الحَمْدُ للَّه يعز الإسلام بعزته، وينصر المسلمين، ويدحض المتخاذلين، فسبحانك ربي ما أعظمك، وبعدُ:

فما أشبه اليوم بالبارحة، لقد أصبح الحنق والحمق والكيد والتدبير للإسلام والمسلمين سمة لأعداء الإسلام ليل نهار، وإن من غيوم الفتن التي تصاعد دخانها في أنحاء المعمورة، ما مُنِيَ به الإسلام والمسلمون من حملات ظالمة وهجمات عاتية من أقوام علا الكيدُ من مراجل قلوبهم، حُمقًا على الإسلام والمسلمين، ولم يهتدوا للوقوف على معاني الإسلام، فناصبوه العداء والهجوم رافعين عقيرتهم أن الداء آتٍ من الإسلام، مطالبين بتغيير مناهجه وتشويه مباهجه، وليعلنوا صاغرين -رضوا أم أبوا- أن عرض الإسلام بمحاسنه وعالميته طوق النجاة للعالم أجمع من تحديات تيار العولمة المعاصرة التي يريدون لنا بالكذبِ والبهتان الذوبان فيها، ولكنَّ اللَّه سبحانه حافظُ دينه ومُعزّ الإسلام ولو كره الكارهون.

الحقد الغربي الدفين ضد الإسلام، وعنصرية ماكرون

أقام الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الدنيا ولم يُقعدها منذ تصريحاته التي أدلى بها في خطابه الذي ألقاه يوم الجمعة الماضي الثاني من أكتوبر ٢٠٢٠م، في أحد أحياء ضاحية باريس، والذي قال فيه: "إن الإسلام ديانة تعيش اليوم أزمة في كل مكان في أنحاء العالم". وقد سعى ماكرون في خطابه إلى إبراز ملامح خطته التي جرى الحديث عنها مرارًا، والتي تسعى لمحاربة النزعات الانفصالية كما يدْعي في المجتمع الفرنسي، وقد جاء حديث ماكرون عن الإسلام تحديدًا، وقوله بأن على فرنسا التصدي إلى الانعزالية الإسلامية الساعية إلى إقامة نظام مُوازٍ للجمهورية. وقد أثار قوله ردود أفعالَ من داخل فرنسا وفي أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي.

وقد أعربت الهيئات والجمعيات الممثلة للمسلمين في أنحاء فرنسا عن مخاوفها من أن تُسهم

تصريحات الرئيس الفرنسي وخطته المرتقبة إلى الخلط بين الدين الإسلامي، وتصرفات المتطرفين المحسوبين ظلمًا على الإسلام والمسلمين.

وقد أعلن الرئيس الفرنسي ماكرون عن خُطط لسنّ قوانين أكثر صرامة للتصدي لما أسماه بـ«الانعزال الإسلامي»، والدفاع عن القيم العلمانية.

وفي خطاب طال انتظاره، قال ماكرون: «إن أقلية من مسلمي فرنسا الذين يُقدّر عددهم بنحو ستة ملايين مسلم، ويشكلون الجالية الأكبر في أوروبا يواجهون خطر تشكيل مجتمع مضادّ».

وتشمل مقترحاته فرض رقابة أكثر صرامة على التعليم، والسيطرة على التمويل الأجنبي للمساجد، ويواجه ماكرون ضغوطًا لمواجهة التطرف الإسلام على حد قوله!! والتي وضعها الكثيرون في شتّى أنحاء العالم بأنها محاولة لقمع الإسلام في فرنسا.

وبينما تضم فرنسا أكبر تجمع ومجتمع إسلامي في أوروبا الغربية، يشتكي كثيرون من أن السلطات الفرنسية تستخدم مبادئ العلمانية لاستهدافهم على وجه الخصوص، مثلما حدث في مسألة حظر الحجاب.

إن قول الرئيس الفرنسي «إن الإسلام دين يمر بأزمة في جميع أنحاء العالم، ونحن لا نرى هذا في بلدنا فقط»، سيقود الإجراءات التي أعلنها ماكرون كتشريعات مقترحة سيطرح أمام البرلمان الفرنسي قبل نهاية العام.

الأزهر يرفض اتهامات
ماكرون ويصفها بالعنصرية

استنكر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف التصريحات الأخيرة الصادرة عن الرئيس الفرنسي والتي قال فيها: إن فرنسا ستعمل على مكافحة «الانفصالية الإسلامية».

وقد جاء في بيان صدر عن المجلس في ٢٠٢٠/١٠/٣م أكد فيه رفضه الشديد لتلك التصريحات التي تنسف كل الجهود المشتركة بين الرموز الدينية للقضاء على العنصرية والتمييز والتنمر ضد الأديان، مؤكدًا على أن مثل هذه التصريحات العنصرية من شأنها أن تؤجج مشاعر ما يزيد على ملياري مسلم ممن يتّبعون هذا الدين الحنيف في أنحاء العالم.

وشدّد مجمع البحوث على أن إصرار البعض على إلصاق التُهم الزائفة بالإسلام أو غيره من الأديان كالانفصالية والانعزالية هو خَلْط معيب بين حقيقة ما تدعو إليه الأديان من دعوة للتقارب بين البشر وعمارة الأرض، وبين استغلال البعض لنصوص هذه الأديان وتوظيفها لتحقيق أغراض هابطة.

ودعا المجمع هؤلاء الذين يدعمون هذه التُهَم إلى التخلّي عن أساليب الهجوم على الأديان، ووصفها بأوصاف بغيضة؛ لأن ذلك من شأنه أن يقطع الطريق أمام كل حوار بنّاء، كما أنه يدعم خطاب الكراهية ويأخذ العالم في اتجاه من شأنه أن يقضي على المحاولات المستمرة للوصول بهذا العالم إلى مجتمع يرسخ للتعايش بين أبنائه ويقضي على التفرقة والعنصرية.

وزير الداخلية الفرنسي يهاجم الإسلام

وفي سياق متصل مع التطرف اليميني الذي أصبح يعلن كراهيته وحمقه على الإسلام والمسلمين، قال وزير الداخلية الفرنسي الجديد جيرالدارمانين: "إن الإسلام السياسي يمثل عدوًا قاتلاً للجمهورية الفرنسية"، وهو ما يتسق مع تحذيرات الرئيس الفرنسي ماكرون.

ويشار إلى أن وزير الداخلية الجديد ينتمي إلى التيار اليميني، ويبلغ من العمر ٣٧ عامًا، وهو حليف للرئيس الفرنسي ماكرون منذ عام ٢٠١٧م، وكان قد طرح اسمه وزيرًا للداخلية في آخر تعديل حكومي واسع النطاق.

ومن المعروف أن الرئيس الفرنسي بعد انخفاض اسمه في بيانات استطلاع الرأي استعدادًا للانتخابات المقبلة يحاول كسب تعاطف اليمين المتطرف لرفع أسهمه الانتخابية على

حساب الإسلام والمسلمين.

أذناب اليمين المتطرف في الدانمرك يحرقون نسخًا من القرآن

وضمن مسلسل إثارة الكراهية ضد الإسلام والمسلمين قام أحد زعماء اليمين المتطرف في الدانمارك بحرق نسخ من القرآن الكريم في منطقة يقطنها المهاجرون، وقد قامت مجموعة من حزب «سترام كورس» على رأسها رئيس الحزب «راسموس بالودان»، حيث قام بحرق نسخ من القرآن الكريم، بذريعة الاحتجاج على إقامة صلاة الجمعة أمام مبنى البرلمان الدانماركي، قائلاً: بأنه وأعضاء حزبه المناهضين للهجرة في المنطقة المشار إليها، مضيفًا أنه ومؤيدوه يقولون الحقيقة عن الإسلام، مبديًا قناعته بأن الدين الإسلامي يتناقض مع القيم الغربية والأوروبية، خاصة الدانماركية.

وقد نظمت جموع من السكان المحليين في المنطقة مظاهرة مضادة في نفس الموقع تعبيرًا عن الاشمئزاز إزاء ما فعله هذا الحزب المتطرف وزعيمه بالودان الذي أسّس حزبه المناهض للهجرة في عام ٢٠١٧م، موجِّهًا العنف في البلاد التي يتعايش فيها المهاجرون من جنسيات مختلفة.

وقد تقدم البرلماني المتطرف في الدانمارك بطلب مكتوب إلى الشرطة للحصول على رخصة للتظاهر في العاصمة السويدية ستوكهولم للتظاهر في خمس مناطق من العاصمة السويدية؛ حيث يخطط «سترام كورس» لحرق نسخ من القرآن الكريم في كل منطقة.

وقال في منشور على حسابه: إن الغرض من المظاهرة هو السخرية من الإسلام - على حد وصفه- وقد علق رئيس الوزراء السويدي على طلب الحزب اليميني المتطرف في الدانمارك؛ لدخول السويد والتظاهر والإساءة للآخر من قائلاً: «من الذي سيسمح له بالدخول؟ أم هو قرار رسمي من حكومة السويد، مضيفًا بأنه لا يفهم الربط بين حرية التظاهر، ومن يقومون باستمرار باستفزاز وإهانة وإذلال الآخرين بما لا فائدة منه سوى إثارة الحمق والضغائن وأنه يجد صعوبة شديدة في رؤية فائدة من جراء تلك الأفعال المثيرة للكراهية». اهـ.

العنصرية الأوروبية.. والتطاول على القرآن الكريم

ومع انتشار الموجه الثانية من وباء كورونا المنتشر بشراسة في كثير من دول العالم، إلاّ أن العالم لم يستفد من الدروس المستفادة من هذا الوباء الذي حطَّم اقتصادات العالم كله، وأظهر للعالم أنه ما يجب أن يكون هناك صراعات من أيّ نوع من الأنواع، بل إن التعاون والتقارب وانهاء الصراعات يجب أن يكون بديلاً عاجلاً للصراعات في المناطق المختلفة، ولكنّ الدروس والعبر لم يستوعبها أحد، وبقي العالم كما هو يعيش في غيه.

وما زالت العنصرية الأوروبية تطاول مداها، وما زالت العقلية الغربية تعيش حالة من الفوقية واحتكار الآخرين، رغم ما ملئوا به الدنيا حديثًا عن الحريات الزائفة والحضارة الراقية، فها هو عضو مجلس النواب وزعيم حزب الحرية اليميني المتشدد، والذي طالب النائب العام النمساوي مجلس النواب برفع الحصانة عن عضو مجلس النواب المتطرف «نوربرت هوفر» للتحقيق معه بسبب تصريحاته المسيئة للقرآن الكريم في أثناء تجمع انتخابي في فينا.

وكان هوفر قد تطاول على القرآن الكريم قائلاً: «إن كورونا ليس خطرًا أعزائي عليكم، القرآن أخطر أؤكد لكم».

ومن جانبها قدمت الجمعية الإسلامية بالنمسا بلاغا إلى النائب العام اتهمت فيه رئيس حزب الحرية بالتحريض ضد المسلمين وازدراء الأديان، وطالبته بالاعتذار عن تلك الإساءة.

وبدوره استنكر مرصد الأزهر لمكافحة التطرف، ذلك التطاول المشين على القرآن الكريم من قبل زعيم ما يسمى بحزب الحرية (إنها الحرية الغربية في يد المتطرفين منهم) اليميني الشعبوي بالنمسا، لافتًا إلى تكرار الإساءة للإسلام، والعنصرية ضد المسلمين في محافل الحزب

وتصريحاته ومقابلاته.

وقد أكد المرصد أن تلك الإساءات المتكررة عداء واضح للإسلام، وتحريض صريح ضد المسلمين، من شأنه أن يُحدث شقاقًا مجتمعيًا داخل الدولة، ويعطي مسوغًا لتبرير أعمال العنف والإرهاب التي ترتكبها جماعات اليمين المتطرف بحق المسلمين في القارة الأوروبية بشكل عام، والنمسا على وجه الخصوص.

ولكن هؤلاء هم الغرب، من يدعون كذبًا وبهتانًا أنهم أصحاب الحضارات والحريات الموهمة، ولكن الإسلام بإذن الله سيعلو وينتشر في أنحاء المعمورة رغم أنف الحاقدين، والله سبحانه مُتمَ نوره ولو كره الكافرون، وهو القائل في كتابه الكريم: « إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ① وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ② فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا » (النصر: ١-٣).

وهو القائل- عز شانه-: « وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ » (الأعراف: ٩٦).

فلماذا يتبجح الغرب بحضارته، وحالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا، فهم اليوم في حيرة وتيه، وليس لهم من ملجأ ينقذهم من مأساتهم إلا الإسلام.

فلقد قادتهم حضارتهم المزعوم إلى الهلاك والانحطاط والشذوذ والسفه والحماقة، رغم تقدمهم العلمي والصناعي، ولكنهم كما يقول الله عز وجل: « يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ » (الروم: ٧)؛ فأرواحهم خالية وخاوية من القيم والأخلاق ولذة الإيمان ولا يعرفون من حياتهم إلا المادة وارضاء شهواتهم.

صفعة على وجه ماكرون من الرهينة الفرنسية

«صوفي» التي أصبحت «مريم»، وهي صفعة أخرى من المواطنة الفرنسية التي كانت محتجزة في مالي كرهينة، ثم أطلق سراحها في عملية تبادل للأسرى، واستقبلها الرئيس الفرنسي ماكرون فور وصولها إلى فرنسا. وفي المطار صدمت صوفي الرئيس الفرنسي بإعلانها إسلامها، وأنها أصبحت «مريم»، وأكدت أنها ستدعو وتطلب البركة من الله من أجل مالي.

وتجدر الإشارة إلى أن صوفي كانت قد احتُجزت مع أوروبيين آخرين من قبل تنظيم القاعدة في مالي، وتم الإفراج عنهم بعد الانقلاب الذي حصل هناك مؤخرًا بعد أربع سنوات من اختطافها.

عودة الحياة باستئناف مناسك العمرة

وإذا كان فيما سبق من المقال إيلامٌ لقلب كل مسلم، إلا أن الله سبحانه أراد يكون الختام فرحًا وسرورًا يدخل على قلب كل مسلم؛ فبعد توقف بسبب الإجراءات الاحترازية جرّاء وباء كورونا التي ألمت بالعالم أجمع قرابة سبعة أشهر، تعلن السلطات السعودية للمسلمين في العالم أجمع بدء تنظيم العودة التدريجية بالسماح بأداء مناسك العمرة على مراحل؛ حيث تبدأ في المرحلة الأولى بستة آلاف معتمر في اليوم، وهو يمثل ٣٠٪ من الطاقة الاستيعابية المعدلة بُغية مراعاة الإجراءات الصحية الاحترازية داخل المسجد الحرام.

وفي ١٨ أكتوبر ٢٠٢٠م سيسمح بوصول أعداد المعتمرين حيث يصل العدد إلى خمسة عشر ألف معتمر، ومع بداية نوفمبر سيسمح للزوار من دول معينة تعتبر آمنة بالمشاركة في مناسك العمرة حيث تصل النسبة إلى ١٠٠٪ من الطاقة الاستيعابية بمراعاة الإجراءات الاحترازية، وتقدر بعشرين ألف معتمر.

وعندما تقرر السلطات المعنية إنهاء حظر كورونا سوف يسمح بأداء العمرة للمقيمين في المملكة والقادمين من الخارج بنسبة ١٠٠٪ من الطاقة الاستيعابية الطبيعية.

وقد بلغ أعداد المشاركين في مناسك العمرة في العام الماضي ١٩ مليون مسلم على مدار العالم.

فاللهم رُدنا إلى بيتك الحرام، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ردًا جميلاً، حُجاجًا وعُمارًا وزائرين، وأعزّ الإسلام والمسلمين، واحفظ بلادنا من كيد الكائدين، آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تتجارى بهم الأهواء

إعداد **محمد عبد العزيز**

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلاة وسلامًا على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فلعل من نافلة القول أن يقال: يجب على أهل العلم أن ينصحوا لله تعالى، وأن يقولوا بالحق بضوابطه الشرعية، قال تعالى: «أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (الأعراف: ١٦٩).

وقد يظن كثير من الناس أن قول الحق هو تتبع المثالب، وجمع المعايب، وتصيد الأخطاء، وإعلان مواطن الزلل، ونشر الأخطاء، وتثوير الناس، ونشر الفرقة.

وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «إذا سمعتم الرجل يقول: هلك الناس، فهو أهلكُهم». أخرجه مسلم (٢٦٢٣) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

قال الخطابي في غريب الحديث (١ /٥٣٦): «يكون ذلك في الرجل يولع بذكر الناس، وإحصاء عيوبهم، وعد مساويهم، فهو لا يزال يقول: هلك الناس، وفسدت نياتهم، وقلت أماناتهم، ويذهب بنفسه عجبًا، ويرى لها على الناس فضلاً، يقول: فهذا بما يناله في ذلك من الإثم أشد هلاكًا وأعظم وزرًا».

وقد يظن آخرون أن جمع الكلمة، وتأليف القلوب، ونشر الفأل، والدعوة إلى الصبر من الخور والضعف عن كلمة الحق، بل وقد يعده بعضهم نفاقًا.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار: «إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» أخرجه البخاري (٣٧٩٢)، ومسلم (١٠٦١).

وقد يظن آخرون أن بيان حكم الله تعالى في قضايا الأمة ونوازلها والصدع به من تفريق الكلمة.

وقد قال تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ» (آل عمران: ١٨٧) فأخذ الله الميثاق عليهم أن يبينوا الحق فلا يضيع في الأمة، وعابهم باستدباره وراء ظهورهم وكتمانه عن الأمة.

لماذا قدمت بهذه المقدمة الطويلة؟

قدمت بها لأني رأيت فئامًا من الناس قد انقسموا إلى أنحاء متفرقة فمنهم:

. من أولع بجمع زلات أهل العلم وأخطائهم وأغلاطهم فطار به في كل أفق ينشرها، ولم يقبل منهم عذرًا، ولم يفرق بين محسنهم الذي غلب عليه الصواب في القول والعمل، ومسيئهم الذي غلب عليه الخطأ والزلل، وبين من أصله البدعة ومن أصله السنة، بل راح يبحث عن كلمة من هنا أو هناك ليسقطهم.

وقد قال رسول الله عليه السلام :يا معشر من آمن بلسانة ولم يدخل الايمان قلبة لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحة في بيته اخرجه ابوداود (٤٨٨٠) من حديث أبي برزة الأسلمي .

قد قال الحافظ ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص ٢٨): «واعلم يا أخي - وفقنا الله لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه: أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاف على من اختاره الله منهم لنشر العلم خلق ذميم.»

. ومنهم من أولع بجمع أخطاء الحكام وزلاتهم

وأغلاطهم وراحوا يذيعونها في الأفاق ويشنعون عليهم بغية تفريق الكلمة وكسر السلطان وإزالة مهابته من القلوب، ولم يفرقوا بين الأمر بطاعته في المعروف دون المنكر، وبين دعوى الخوارج والبغاة الداعين للخروج على حكام الجور.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع.

قالوا: أفلا نقاتلهم؟

قال: لا، ما صلوا» أخرجه مسلم (١٨٥٤).

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الناس مع حكامهم إذا رؤوا منهم المنكر على ثلاثة أصناف:

الأول: من رأى المنكر فلم يستطع أن ينكره بلسانه، فكرهه بقلبه ولم يقرهم عليه، فهذا برئ من إثمهم الذي اقترفوه.

قال القاضي عياض في إكمال المعلم (٦ /٢٦٤): «المعاقبة على السكوت على المنكر إنما هو لمن رضيه، وأعان فيه بقول أو فعل أو متابعة، أو كان يقدر على تغييره فتركه.

فأما مع عدم القدرة فبالقلب وعدم الرضا به، كما فسره بعد في الحديث الآخر؛ أي: كره بقلبه وأنكر بقلبه».

الثاني: من رأى منهم المنكر فأنكره بلسانه وهذا له حالان:

الحال الأول: أن يكون عند الحاكم بالموعظة الحسنة سرًا دون تهويل . وقد قال الله لموسى وهارون صلى الله وسلم عليهما: «ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ» (طه: ٤٣، ٤٤).

وعن طارق بن شهاب - رضي الله عنه - «أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم، وقد وضع رجله في الغرز: أي الجهاد أفضل؟

قال: كلمة حق عند سلطان جائر». أخرجه النسائي (٤٢٠٩).

الحال الثاني: أن يكون إنكار المنكر في العلن والجهر ليتقيه الناس ولا يفعلونه، فهذا من الميثاق الذي أخذه الله على العلماء.

لكن يكون ذلك دون تعيين لفاعله، ودون تشهير

قال القاضي عياض في إكمال المعلم (٦ /٢٦٤): «وقوله: "فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم": أي: من معاقبة الله له على الإقرار على المنكر، وبرئ بكراهيته من الرضا والمتابعة، وفيه حجة على لزوم قول الحق وإنكار المنكر».

الثالث: من رأى المنكر فرضي به، وتابع عليه، وربما برر له: فيلبس الحق بالباطل.

قال النووي في شرح مسلم (١٢ /٢٤٣): «ولكن الإثم والعقوبة على من رضي وتابع».

وهؤلاء ثلاثة أقسام:

الأول: من رأى الإثم أو علم به فرضيه بقلبه، وإن لم يفعله.

الثاني: من رأى المنكر أو علم به فرضيه بقلبه، وتابع عليه بعمله.

الثالث: من رأى المنكر أو علم به فرضيه بقلبه، وتابع عليه بعمله، وربما برر له، إما بجهل، أو بالكذب على الله، فلبس الحق بالباطل فهؤلاء أشدهم إثمًا.

قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ» (البقرة: ١٦٨، ١٦٩).

وقال تعالى: «وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ» (النحل: ١١٦).

وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن منابذة السلطان بالسيف إذا أظهر المنكر، وهذا السؤال يدل على أمرين:

الأول: نزع اليد من الطاعة.

الثاني: السعي في خلعهم بالسيف.

فأجاب صلى الله عليه وسلم بالنفي ما أقاموا في الأمة الصلاة، فدل الأمة على علامة ظاهرة.

قال في تحفة الأحوذي (٦ /٥٤٤): «أي: لا تقاتلوهم ما صلوا، إنما منع عن مقاتلتهم ما داموا يقيمون الصلاة التي هي عنوان الإسلام حذرًا من هيج الفتن واختلاف الكلمة وغير ذلك مما يكون أشد نكاية من احتمال نكرهم والمصابرة على م ينكرون منهم».

هذه الكلمات نصيحة من مشفق، فما كان فيه من صواب فمن الله، وأستغفر الله من الأخرى.

الوالدان: بين الحقوق والعقوق

إعداد إبراهيم رفعت

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة على خاتم المرسلين.

أما بعد: فمن أعظم العبادات والقربات إلى الله عزَ وجلَ: برَ الوالدين؛ حيث أكد سبحانه في كتابه العزيز على البر بالوالدين والإحسان إليهما ورعايتهما والعناية بهما، ولعظم هذا الأمر قرن الله سبحانه وتعالى برَهما بعبادته؛ اهتمامًا بهما وتعظيمًا لشأنهما.

وقد بيَن الله سبحانه وتعالى صُور البرَ المتعددة والمختلفة بالوالدين.. كما سيأتي في ثنايا هذا المقال، أسأل العلي القدير أن يغفر لي ولكم تقصيرنا مع والدينا.

قالَ الله تعَالى في سورة الإسراء: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا» (الإسراء: ٢٣ - ٢٤).

وقال تعالى في سورة لقمان «وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ» (لقمان: ١٤).

وبرُ الوالدين من أعظم أبواب الخير، وقد جاء ذلك في الحديث الذي سأل فيه عبد الله بن مسعود النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: أيُ العمَل أحبُ إلى الله؟ قال: "الصَلاةُ علَى وقْتِها". قال: ثمَ أيٌ؟ قال: "ثمَ برُ الوالدَيْن". قال: ثمَ أيٌ؟ قال: "الجِهَادُ في سَبيلِ الله" (متفق عليه).

وكثير منا يقع في عقوق الوالدين وهو لا يدري، بل ويظن أنه بار بهما.

فبرَ الوالدين من أجلِ القربات إلى الله سبحانه وأفضل الأعمال، والأكرم للمسلم أن يقوم على حاجة والديه من أن يقوم ليله في صلاة وقراءة قرآن، وفي كل خير؛ فالاهتمام بالوالدين أفضل من حج التطوع أو العمرة أو نحو هذا من أنواع البر والمعروف الأخرى التي حثنا عليها ديننا الحنيف.

وفي السنة النبوية أنه أقبل رجل على الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد؛ أبتغي الأجر من الله، فقال: "فهل من والديك أحد حيّ؟". قال: نعم. بل كلاهما. فقال النبي: "فتبتغي الأجر من الله؟". فقال: نعم. قال النبي: "فارجع إلى والديك، فأحسنْ صُحْبتَهُما" (رواه مسلم).

وفي رواية أخرى لمسلم قال النبي: "ففيهما فجاهد" (رواه مسلم).

ومن هنا يتبين لنا أهمية برَ الوالدين والحرص عليه وأنه أفضل من صيام التطوع، ومن قيام الليل، ومن حج التطوع، ومن عمرة النفل.

وقد جعل الله حق الوالدين بعد حقه تعالى كما جاء في سورة النساء «وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ

مُخۡتَالٗا فَخُورًا ، (النساء:٣٦).

فأكدت الآية الكريمة على أن الله عز وجل قد أوجب على المسلمين حقوقاً للوالدين وقرنها بعبادته الخالصة له سبحانه وتعالى؛ وذلك لقدرهما وفضلهما على الأبناء بعد فضل الله عليهم.

فإذا نظر الإنسان في حاله ونفسه وطريقة تعامله مع والديه لوقف على شدة التقصير مع أن هذا من أفضل الأعمال، ولربما اعتقد أنه يضحي من أجلهما وهو مقصر في أبسط الحقوق الواجبة عليه.

حق الوالدين على الأبناء:

الوالدان أحق الناس بالوفاء والعناية والرعاية، لما قاما به من عطاء وتفان وحُبّ لأولادهما دون انتظار مقابل.قال تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا) (سورة الإسراء: ٢٣)؛ والوالدان يحتاجان أكثر إلى الاحسان في التعامل معهما وهما في مرحلة الشيخوخة وعدم إظهار الضيق من طلباتهما ولو كانت كثيرة ومتكررة، كما يحتاجان إلى عدم مجادلتهما أو الكذب عليهما، ثم الدعاء لهما بالرحمة والغفران بعد موتهما.

والإسلام قد اختص الأم بمزيد من البر؛ لحاجتها وضعفها وسهرها وتعبها في الحمل والولادة والرضاعة. والبر يكون بمعنى حُسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة والصلة؛ فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ -يعني: صحبتي- قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك" (متفق عليه).

وفي رواية: "يا رسول الله، من أحق بحسن الصحبة؟، قال: أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم أدناك أدناك".

فهذا الحديث يبيّن فضل الأم ومنزلتها، وأن الأم لها من الحق في هذا الجانب وهو حسن الصحبة ثلاثة أضعاف ما للأب.

عقوق الوالدين من أكبر الكبائر

ففي الحديث المتفق عليه: عن أبي بكرة نُفيع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً، يعني قالها ثلاث مرات، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس، فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت".

وقد اتفق أهل العلم على أن بر الوالدين فرض، وعلى أن عقوقهما من الكبائر، وذلك بالإجماع..

وعن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كل الذنوب يؤخر الله تعالى ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الموت"(رواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك).

بر الوالدين بعد الممات

المسلم مأمور ببرّ والديه في حياتهما، وبعد موتهما؛ بالدعاء لهما بالرحمة والمغفرة، وتنفيذ وصيتهما في غير معصية الله والوفاء بعهدهما، وإكرام أصدقائهما.

الآثار المترتبة على بر الوالدين:

أكدت النصوص الشرعية على أن لبر الوالدين آثارًا طيبة على الأبناء، منها:

١- الفوز بالجنة:

عن أبي هريرة عن النبي قال: "رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه"، قيل: من يا رسول الله؟ قال: "من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة"(رواه مسلم).

٢- من أحب الأعمال إلى الله:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي أي العمل أحب إلى الله؟ قال: "الصلاة على وقتها". قلت: ثم أي؟ قال: "بر الوالدين". قلت: ثم أي؟ قال: "الجهاد في سبيل الله" (متفق عليه).

٣- رضا الرب في رضا الوالدين:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رضا الرب في رضا الوالدين، وسخط الرب في سخط الوالدين" (رواه الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم).

٤- البر منجاة من مصائب الدنيا، بل هو سبب تفريج الكروب وذهاب الهم والحزن، كما ورد في شأن نجاة أصحاب الغار، وكان أحدهم باراً بوالديه يقدمهما على زوجته وأولاده.

نسأل الله أن يرزقنا برّ آبائنا وأمهاتنا أحياءً وأمواتًا، والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

احذر أن تكون من هؤلاء

قال الله تعالى: «وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ».

(البقرة ٢٠٤:٢٠٥)

من دلائل النبوة

تسليم الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم

عن جابر بن سمرة، رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله صلَى الله عليه وسلَم: «إنَي لأعرف حجرًا بمكَة كان يسلَم عليَ قبل أن أبعث. إنَي لأعرفه الآن»

(رواه مسلم)

من حكمة الشعر

قال حسام الدين الواعظي رحمه الله:

ما المرء إلا الذي طابت فضائله ... والدين زين يُزين العاقل الفهما

والعلم أنفس شيء أنت ذاخره ... فلا تكن جاهلا تستورث الندما

رقي أخلاق السلف

عن مطرف: أنه قال لبعض إخوانه: يا أبا فلان، إذا كانت لك حاجة، فلا تكلمني، واكتبها في رقعة، فإني أكره أن أرى في وجهك ذُل السؤال.

(سير أعلام النبلاء)

حكم ومواعظ

رأى الأحنف في يد رجل درهما، فقال: لمن هذا؟ قال: لي. قال: ليس هو لك حتى تخرجه في أجر أو اكتساب شكر، وتمثل: أنت للمال إذا أمسكته، وإذا أنفقته فالمال لك.

(سير أعلام النبلاء)

إعداد : علاء خضر

من معاني الأحاديث

في أشراط الساعة «وأن تلد الأمة ربها أو ربتها» الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيِّم، والمُنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره أُضيف، فيقال رب كذا.

(النهاية لابن الأثير)

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"لا تتفكروا في الله، فإنه لا مثل له، ولا شبيه ولا نظير، ولا تضربوا لله الأمثال، ولا تصفوه بالزوال، فإنه بكل مكان"

موضوع. فإن في الحديث أجزاء قد تكون صحيحة ولكن لفظة "فإنه بكل مكان" باطلة من وضع المبتدعة لتعطيل صفة العلو لله عز وجل.

(السلسلة الضعيفة)

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

بادر أخي بالصلح تسلم

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «تُفتح أبواب الجنَة يوم الاثنين، ويوم الخمِيس. فيُغفر لكلّ عبدٍ لا يشرك بالله شيئا إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيُقال: أنظروا هذين حتّى يصطلحا...

(رواه مسلم)

من فضائل الصحابة

عن الثوري قال: من قدَّم على أبي بكر وعمر أحداً، فقد أزرى على اثني عشر ألفا من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- توفي رسول الله وهو عنهم راض.

(سير أعلام النبلاء)

من أقوال السلف

عن الوليد بن مسلم، قال: سألت مالكًا، والثوري، والليث، والأوزاعي عن الأخبار التي في الصفات (يعنى صفات الله عز وجل)، فقالوا: أمرُوها كما جاءت. وقال أبو عبيد: ما أدركنا أحدًا يفسر هذه الأحاديث، ونحن لا نفسرها.

(سير أعلام النبلاء)

أثر السياق في فهم النص

(١٢٧)

حجاب المرأة المسلمة

(٣٧)

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن أثر قرائن السياق على أدلة الحجاب، وقد قسمت أدلة الحجاب إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى: أدلة القرآن. المجموعة الثانية: أدلة السنة. المجموعة الثالثة: الآثار عن الصحابة ومن بعدهم.

وقد انتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن، وبدأت في أدلة السنة، فتكلمت عن سبعة أحاديث، وأواصل البحث بإذن الله تعالى.

الحديث الثامن:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها". (صحيح البخاري).

وقد استدل بعض أهل العلم من الحديث على احتجاب النساء عن الرجال احتجابا كاملا مستدلا به على تغطية الوجه (انظر الصارم المشهور: ص٩٥).

فهل المباشرة يُقصد بها النظر إلى الوجه؟ أم هي أوسع من ذلك؟ وهل يستدل من الحديث على وجوب النقاب؟

من القرائن حول الحديث:

أ- قرينة لفظية متصلة: "لا تباشر" من المباشرة يقول ابن الجوزي: "كأن المباشرة هاهنا مستعارة من التقاء البشرتين للنظر إلى البشرة، فتقديره تنظر إلى بشرتها.." (انظر كشف المشكل من حديث الصحيحين ١/٢٩٩).

ب- قرائن لفظية منفصلة: في رواية للحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى يختلط بالناس؛ من أجل أن يحزنه، ولا تباشر المرأة في ثوب واحد من أجل أن تصفها لزوجها حتى كأنه ينظر إليها".

الحديث التاسع:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي الصبح فينصرف النساء متلفعات بمروطهن ما يُعرفن من الغلس"

(متفق عليه)، وفي رواية عند البخاري: "ولا يعرفن بعضهن بعضا".

وقد تنازع الفريقان: الفريق الذي قال بوجوب تغطية الوجه، والفريق الذي قال باستحبابه على الاستدلال بالحديث.

القرائن حول الحديث:

أ. قرينة لفظية متصلة: "متلفعات بمروطهن" وفي رواية "متلففات بمروطهن"، والأكثر على متلفعات، وقيل المعنى متقارب، وقيل: إن التلفع يستعمل مع تغطية الرأس، وقيل بل هما بمعنى واحد، وهو الاشتمال بالثوب (انظر: المنتقى شرح الموطأ ٩/١، إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ١٦٥/١.

ب- ما يُعرفن من الغلس: الغلس هو وقت اختلاط ضوء الصبح بظلمة الليل.

ما يعرفن، هل لا تُعرف أشخاصهن أرجال هن أم نساء من شدة الغلس أم لا يعرفن من هن من النساء بأعيانهن، وهذا يقتضي أنهن سافرات عن وجوههن؛ لأنهن لو كنَّ غير سافرات لمنع النقاب وتغطية الوجه من معرفتهن لا الغلس. وهذا يرد عليه أنهن لما أمنَّ عدم رؤيتهن لشدة الغلس كشفن عن وجوههن، وأيضا لأن النساء كن يخرجن سريعًا عقب الصلاة؛ حتى لا يزاحمن الرجال ولا يراهن الرجال. (انظر: المنتقى شرح الموطأ ٩/١, شرح النووي على مسلم ١٤٤/٥, شرح سنن أبي داوود للعيني ٢٩٣/٢, عمدة القاري ٩٠/٤, جلباب المرأة المسلمة صـ٦٥, الصارم المشهور ص٨٦).

ج- قرائن لفظية منفصلة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "لو رأى رسول الله صلى الله من النساء ما نرى لمنعهن من المساجد كما منعت بنو إسرائيل نساءها، لقد رأيتنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر في مروطنا، وننصرف وما يعرف بعضنا وجوه بعض" (مسند أبي يعلى ح٤٤٩٣، والبزار ح ٢٩٥ قال الألباني: سنده صحيح، وكذلك قال حسين سليم أسد في تحقيقه على مسند أبي يعلى، والحديث في الصحيحين دون ذكر الوجه).

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت: "لقد رأيتنا ونحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر في مروطنا، ثم ننصرف وما يعرف بعضنا وجوه بعض". (انظر: مسند السراج، ح ٦٢٤, ٨٠٨, ١١٧٠, الصحيحة ح ٣٣٢).

بضم رواية أبي يعلى، والبزار وغيرهما أن النساء كن كاشفات الوجوه، لكنْ هذا لا يُستدل به على جواز كشف الوجه، لماذا؟

لأنه من المعلوم أن المرأة إذا أمنت ألا يراها أحدٌ من الرجال في ظلمة الليل قد تكشف وجهها مستترة بظلمة الليل، خاصة أن الرجال كانوا يمكثون بعد الصلاة في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فتخلو شوارع المدينة من الرجال.

الحديث العاشر:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أومأت امرأة من وراء ستر بيدها كتابًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقبض النبي صلى الله عليه وسلم يده، فقال: ما أدري أيد رجل أم يد امرأة؟ قالت: بل يد امرأة. قال: لو كنت امرأة لغيرت أظفارك، يعني بالحناء" (صحيح سنن أبي داود وغيره)، والحديث في سنده خلاف بين أهل العلم، فمنهم من ضعفه، وحسنه الألباني بشواهده الكثيرة، انظر الثمر المستطاب ص٣١١-٣١٥).

القرائن حول الحديث: قرينة لفظية متصلة

١- "أومأت امرأة من وراء ستر": أي أشارت من وراء ستر يحجبها عن العيون، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف أهي رجل أم امرأة، وفيه استدلال على أن الحجاب الكامل، ومنه تغطية الوجه كان مشروعًا أيام النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- بيدها: يدل على أن يدها كانت ظاهرة ولم تكن ترتدي ما يسترهما كالقفازين.

لكن يرد تساؤل، هل لليدين حكم الوجه؟ من

قال: إن لليدين حكم الوجه استدل بالحديث وشواهده على جواز كشف وجه المرأة: لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر على المرأة كشف يديها (انظر جلباب المرأة المسلمة ص٧١-٧٢). ومن فرّق بين اليدين والوجه، استدل بالحديث على مشروعية تغطية الوجه، ولهذا لم ينكر عليها النبي صلى الله عليه وسلم استتارها وتغطية وجهها (انظر الصارم المشهور ص٨٨).

قلت: إن كان لليد حكم الوجه فهو حجة للقائلين بجواز كشفهما، لكن هذا قد يرد عليه أن اليد قد يتجاوز عن كشفها أحيانا للضرورة، فهل مناولة الكتاب من الضرورات؟ أرى أنها ليست ضرورة إلا إذا كانت المرأة تستتر يديها بكمّ جلبابها الطويل ثم ظهر كفاها عند مناولة الكتاب للنبي صلى الله عليه وسلم.

الحديث الحادي عشر:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب، فقال: يا سودة، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين. قالت: فانكفأت راجعة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت فقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر: كذا وكذا. قالت: فأوحى الله إليه ثم رفع عنه، وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن" (متفق عليه).

القرائن حول الحديث:

قرينة لفظية متصلة ١- "يا سودة، أما والله لا تخفين علينا": فدل على أنها لم تكن مكشوفة الوجه، وإلا لما قال لها تلك المقولة، وإنما عرفها بطولها وهيئتها. وأمهات المؤمنين فرض عليهن الحجابُ بالكامل بما في ذلك الوجه والكفين، وهذا لا خلاف فيه، إنما يرد عليه مسألة: هل الخطاب لأمهات المؤمنين يشمل جميع النساء أم لا يشملهن؟ وهذه المسألة مشهورة، وقد أشرت إليها من قبل.

الحديث الثاني عشر:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: "يا أسماء! إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه" (أخرجه أبو داود والبيهقي بنحوه).

القرائن حول الحديث:

قرائن غير لفظية: وذلك في سند الحديث: ففيه خمس علل:

١- الانقطاع بين خالد بن دريك -راوي الحديث عن عائشة -وبين عائشة رضي الله عنها، فهو لم يدركها.

٢- ضعف سعيد بن بشير، أحد رجال السند.

٣- عنعنة الوليد بن مسلم، أحد رجال السند.

٤- عنعنة قتادة بن دعامة السدوسي، أحد رجال السند.

٥- الاضطراب: فخالد بن دريك يرويه مرة عن أم سلمة بدلاً عن عائشة رضي الله عنها (انظر الكامل في ضعفاء الرجال ٤١٧/٤، ميزان الاعتدال للذهبي ١/٦٣٠، تقريب التهذيب: ت ٧٤٥٦، ت٢٢٧٦، ت ٥٥١٨، ت ١٦٢٥، تهذيب التهذيب ت ٢٥٤، تعريف أهل التقديس ص ٤٣).

وهناك طرق للحديث قوّى بها بعض أهل العلم الحديث -كالألباني والبيهقي (انظر جلباب المرأة المسلمة ص٥٨-٥٩، السنن الكبرى للبيهقي ٣١٩/٢).

وقال ابن كثير بعد أن ذكر نُقولاً عن بعض الصحابة في (إلا ما ظهر منها) الوجه والكفين، فقال: "وهذا هو المشهور عند الجمهور، ويُستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه ثم ذكر الحديث..". وعلق عليه فقال: "لكن قال أبو داود وأبو حاتم الرازي: هذا مرسل، خالد بن دريك لم يسمع من عائشة" (انظر تفسير ابن كثير ٦/٤٥-٤٦).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

سبيلُ الحَيَاة وسَفِينةُ النَّجَاة (٣)

الاعْتِبار سبيل الاسْتِبْصار

إعداد د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله على خيرة خلْقه وصفوة بريَته نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فلا يرتاب عاقلٌ، ولا يشكُّ عارفٌ فاضلٌ، أنَّنا قد أصبحْنا في زمانٍ تراكمتْ على عُقول أهْله سحائبُ الجَهالات، وغلبتْ على قُلوبهم فتَنُ الضَلالات، ورانتْ على بصائرهم السيِّئات والخطيئات وقبائح العادات حتى صارت كالظُلمَات، ومنْ أنكرَ هذا فهو كالَذي ينكرُ ضوءَ الشَمْس المُنيرة وهي في نَحْرِ الظَهيرة.

وإنَ أناسًا في زماننا قد خالفوا الجادة، وجانبوا الصَواب فلم يعتنُوا بسُلوك سبيلِ النَجاة وظنُوا أنَ الأمرَ سهل، وأن الخَطْب يسيرٌ، وهم لا يشعرون بما هم عليه من الجَهْل، وهم في ذلك قد أصابَ بصائرَهم عمًى، وغلبتْ على أبصارهم غشاوَة حالتْ بينهم وبينَ الهُدى حتَى غلبَ الوهم على الفهْم فأفسده وأنْكدَه.

وإن المراد من هذه المقالات تحقيق معاني قيمة النجاة، وأهمية سلوك مسالكها وإن كانت وعرة شائكة.

إنَ المؤمن الذي يسلك طرق النجاة، ويبتعد عن سبل الغواة يكون أقعدَ بالْحَال وأفهَم للمقَال بل يصبحُ الضالة المنشودة، والدرة المفقودة في هذا الزمان.

وهو مع ذلك لن يسلم من توارد الأذايا والفتن وتواتر البلايا والمحن.

رمتْني بناتُ الدّهر من حيثُ لا أَرى
فكيفَ بِمَن يُرْمَى وليْسَ بِرَامِ
فلو أنها نَبْلٌ إذًا لاتّقَيْتُها
ولكنّني أُرْمَى بغَيْر سِهامِ

> **مـن أهـم أسبـاب النجـاة: النظـر في حال السابقين سواء كانوا من الصالحين الجادين السعاة، أو كانوا من الفاسقين الطغاة والعصاة.**

من أهم أسباب النجاة:

وإن من أهم أسباب النجاة: النظر في حال السابقين سواء كانوا من الصالحين الجادين السعاة، أو كانوا من الفاسقين الطغاة والعصاة، وسواء كانوا من الأوائل أو الأواخر ومن الأقدمين أو المعاصرين، فأخذ العبرة لا يتعلق بجيلٍ دون آخر، ولا بمُتقَدّم ومتأخَر ولا بتال وماض.
قال تعالى: « قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ » (آل عمران: ١٣٧-١٣٨).

الأمر بالاعتبار وأخذ العبرة:

قال تعالى: "قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ " (الأنعام :١١)، وقال أيضا: "قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ" (النمل: ٦٩)، وقال أيضًا: "قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ" (العنكبوت: ٢٠)، وقال أيضًا: "قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ" (الروم: ٤٢).

الاعتبار والاستبصار بأحوال الماضين:

إنَّ الاستبْصار هو أن يكون النَّظر إلى الأحْوال وتدبر الأمور بعيْن البصيرة قبْل البصر، وإن يكون على سبيلِ العظَة والعِبْرة، لا لتجنب الحُزن والعَبْرة.
وهذا الاستبصار علم ساميةٌ شُرَفُه، عاليةٌ غُرفُه، ومن تدبّر وتفكّر علم أنّه من أحسن الأحْوال وأزْهاها؛ ومن أجلِ الأمُور وأبْهاها، لأنّ صاحبَه يصبح كالرّائد في طلب الفوائد.
لأنّ النظرَ في أحوال الخَلْق يُري المرءَ الفوائد عيانًا، ويشرح القلب ويبسط من العبد لسانًا، ويهيئه للتّمْييز بين الفاضل والمفضول والمعلُوم والمَجْهُول، ويجعلُه يقودُ النّفْس بالْخطام فلا يَمْشي في الظّلام ولا ينقادُ وراء الحُطام.
كما أن تدبّر الأحـوال وتأمّل العبر وما فيها من الأهـوال يجِد فيها ترويحًا للخاطر، وعبرًا لكُلّ معتبر وناظر.

إذا عاشَ الإنسانُ أخبارَ مَنْ مضَى
توهَمتَه قد عاشَ من أوّلِ الدّهْرِ
وتَحسبُه قد عاشَ آخرَ عُمْرِه
إذا كان قد أبْقى الجَميل من الذّكْرِ
فقد عاشَ كلَّ الدهر من كان عالمًا
حليمًا كريمًا فاغْتنمْ أطْولَ العُمْرِ

إن مطالعة أحـوال الناس من المتقدمين والمتأخرين تجعل المرء يلتقط الفائدة والعبرة من كل قطعة، ويصلح بها كل بقعة، ويسد بها كل رقعة.

أصناف الناس في الاعتبار:

من تأمل أصناف الناس وجدهم صنفَيْن:

الأول: ينتبه للعبَر، وينظرِ إليها نظر أهل اليقظة والبصر، وهذا امروٌ يزداد مع الأيام فهمًا وعقلًا، ويصلح لأن يكون في القدوة رأسًا وأهلًا، وهؤلاء في الناس قلّة، وفي كل عصرٍ ندرةٌ وحفْنَة.
الثاني: من لا يأبه للعظَة ولا ينتَبه للآيات والعبَر، وهؤلاء أكثر الْخليقة غيرَ أنَهم أهونُ من النَّقير، وأحْقَر من الْحَقير، وأضعفُ من القطْمير؛ لأنهم ينتبهون بعد فوات الأوان وانتهاء المهلة من الزمان، كما حكى الله عن الأمم السابقة، قال تعالى: "وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ " (العنكبوت: ٣٨). قال مُجَاهدٌ: "ضَلَلَةً" (صحيح البخاري: ٦/١١٣)، ومعنى مستبصرين أي: عندهما بصائر لكِنهم لم يعملوها في تَمْييز الْحَقَ من الباطل فضلُوا بهذا.
أما الصنف الأول: فهم أهل اليقظة الذين يعملون ويوقنون أنهم إلى ربهم راجعون، قال تعالى: "ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ" (البقرة: ٤٦)، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة "وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ" (المؤمنون: ٦٠)، والذين يرجون الله واليوم الآخر "لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا" (الأحزاب: ٢١)، والذين يريدون الآخرة ويسعون لها سعيها ويعملون لها عملها ويحسبون لها حسابها، قال تعالى: " وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ⑲ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا " (الإسراء: ١٩، ٢٠).

- قد رزقهم الله تذكرة بتقلُّب الدّهر بأبنائه، وبما يطرأ من عجائبه وأنبائه، ومنّ عليهم بفطر سليمة وأفكار مستقيمة، يُحسنون العمل في البدايات، ويشرئبون إلى النجاة والفوز في النهايات.
- الغالب عليهم الاجتهاد في عمل الآخرة.
- يقفون على المواقف بحسن النظر والتدبير، ويحذرون من عمل المقصرين كل التحذير.
- وهؤلاء أهل السعادة الباقية وأولو الدرجات والرتب العالية.

أما الصنف الثاني فهؤلاء لو نادتهم جادة الصواب لم يعبؤوا بالنداء، ولم يقيموا لها وزنًا، ولم يحركوا من أجلها لسانًا ولا قلمًا. قد شغفتهم الدنيا حبًا وأطاشت الشهوات منهم قلبًا ولبًا، فأصبحوا يرون السعي وراء الأهواء حرية وفكرًا، والجري خلف الشهوات كياسة ونظرًا، والركض في طريق الملذات والأوطار نباهة وبصرًا، فهو في ذلك منفلت العنان لا يسلم للبيان، ولا يقنع للحجة والبُرهان.

بصيرة المؤمن نجاة من المحن الشداد:

هنالك في آخر الزمان فتن كبرى، وبلايا شداد، ومحنٌ غلاظ مثل فتنة المسيح الدجال الذي يغوي الناس ويضل خلقًا كثيرين بما يتبعه من الكنوز وما يدّعيه من إحياء الموتى غير أنّ المؤمن صاحب البصيرة النافذة لا يقع في شَركه ولا تصطاده حبائله.

عن أبي سعيد الخُدْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: حدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ

> هنالك في آخر الزمان فتن كبرى، وبلايا شداد، ومحنٌ غلاظ مثل فتنة المسيح الدجال الذي يغوي الناس ويضل خلقًا كثيرين بما يتبعه من الكنوز وما يدعيه من إحياء الموتى غير أن المؤمن صاحب البصيرة النافذة لا يقع في شركه ولا تصطاده حبائله.

حَديثًا طَويلًا عَنِ الدَّجَّالِ فكَانَ فيمَا حَدَّثَنا
به أنْ قَالَ: "يَأْتي الدَّجَّالُ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عليه
أَنْ يَدْخُلَ نقَابَ المدينَةِ، بَعْضَ السِّبَاخِ الَّتي
بالمَدِينَةِ، فَيَخْرُجُ إلَيْه يَومَئذٍ رَجُلٌ هو خيرُ
النَّاسِ، أَوْ مِنْ خيرِ النَّاسِ، فَيَقولُ أشْهَدُ أنَّكَ
الدَّجَّالُ، الَّذي حَدَّثَنَا عَنْكَ رَسولُ اللَّه صَلَّى
اللَّه عَلَيْه وسَلَّمَ حَديثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ:
أَرَأَيْتَ إنْ قَتَلْتُ هذا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هلْ تَشُكُّونَ
في الأَمْرِ؟ فيَقُولُونَ: لَا، فَيَقْتُلُه ثُمَّ يُحْيِيه
فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيه: وَاللَّه ما كُنْتُ قَطُّ أشدَّ
بَصِيرَةً مِنِّي اليَوْمَ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَقْتُلُهُ فلا
أُسَلَّطُ عَلَيْه".

فانظر إلى هذا المؤمن الذي استنارت بصيرتُه
وأضاءتْ بذلك سيرتُه وسريرتُه بلغ به الحال
إلى أن عجز الدجال عن فتنته والاستحوا
عليه.

ولأجل هذه البصيرة علمنا النبي صلى الل
عليه وسلم أن نسأل الله تعالى أن يرزقنا النو
في جوارحنا وأعضائنا.

عن ابْنِ عبّاس قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى ال
علَيْه وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ اجْعَلْ لي في قَلْبي نُورًا، و
لسَاني نُورًا، وَفي سَمْعي نُورًا، وَفي بَصَري نو
وَمنْ فَوْقي نُورًا، وَمنْ تَحْتي نُورًا، وَعَنْ يَمين
نُورًا، وعَنْ شمَالي نُورًا، وَمنْ بَيْنِ يَدَيَّ نُورًا، و
خَلْفي نُورًا، واجْعَلْ في نَفْسي نُورًا، وَأَعْظِمْ
نُورًا» (رواه مسلم: ٧٦٣).

وللحديث بقية إن شاء الله وصلى الله ع
نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ل
بإحسان إلى يوم الدين.

الموازنة بين العقل والعاطفة في الدعوة إلى الله تعالى

(١)

إعداد **د. عبد الوارث عثمان**
أستاذ الفقه المقارن جامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

إن رسالة الإسلام الخالدة هي الرسالة التي بُعِثَ بها جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام منذ خلق الله آدم وإلى بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، أنزل عليه ربه عز وجل: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» **(المائدة: ٣)، ولا رسالة سماوية لهداية البشرية غيرها، وما عداها هي تعاليم اصطناعية رُكِّبت بعقول بشرية تعجز في كثير من أحوالها عن إدراك الأمور البدهية، وتحقيق منافعها الضرورية الحتمية، وعلى هدى رسالة الإسلام الخالدة سار كل أنبياء الله تعالى ورسله وأقوامهم وأممهم في كل موضع من الأرض وطئته أقدام البشر على اختلاف ألوانهم وألسنتهم.**

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران:١٩)، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أنا أوْلى النّاس بعيسى ابْن مَرْيَم في الدُّنيا والآخِرة، والأَنْبياءُ إخْوَةٌ لعلات، أمَّهاتُهُمْ شَتَّى وَدينُهُمْ واحدٌ" (صحيح البخاري: ٣٤٤٣). وقد عمد أعداء الرسالة السماوية المتفردة إلى رفع مفاهيم مغلوطة ومعلومات مغشوشة توهم الناس أن السماء تساقط أديانًا متعددة وعقائد شتى في عهود قديمة وأخرى جديدة. كان غرضها التنقص من شأن المصدر وانتفاء وجوده وأن كل ما نُسب إلى السماء إنما هو محض وهم وخداع وقعت البشرية ضحية له عبر تاريخها الطويل.

ولقد عمد النبي صلي الله عليه وسلم إلى أجلاف العرب من قريش وشبه الجزيرة العربية وأناس من غيرها؛ فما لبث العالم أن رأى منهم نوابغ كانوا من عجائب الدهر، فأصبح عمر-رضي الله عنه الذي كان يرعى الإبل لأبيه الخطاب وينهره- قائدًا لن ينساه التاريخ، ويؤسس دولة إسلامية تجمع بين التفوق في الإدارة وحسن النظام، ويتصف بالورع والتقوى والعدل. وهذا خالد بن الوليد كان أحد فرسان قريش انحصرت كفاءته الحربية في هدف ضيق يستعين به رؤساء قريش في المعارك القبلية فينال ثقتهم وثناءهم، فإذا به يصبح سيفًا في سبيل الله ينزل كالصاعقة على الروم والفرس ويترك ذكرًا خالدًا في التاريخ وغيرهم كثير.

لقد حقق النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم مقاصد رسالة الإسلام الخالدة في تكريم البشرية وإعدادها للقيام بواجبها التعبُّدي الذي خُلقتْ من أجله في توازن محكم وحكيم، وبالأخص بين العقل والعاطفة في الدعوة إلى الله تعالى.

والعاطفة: من عطف، أي: مَال وهي قابلية النفس للميل والتأثر الشديد من جراء المشاعر كالمحبة والبغض والشفقة والعصبية وغير ذلك من المشاعر.

هذه المشاعر إذا تمكنت من النفس وتحرّك الإنسان على أساسها دون العقل فإنها ستوقعه حتمًا في الظلم والإساءة والإفساد؛ لأن العاطفة وحدها تؤدي إلى الميل الشديد نحو شيء معين دون تبصُّر أو روية أو اعتبار لحق أو باطل، وعلى العكس أيضًا تؤدي إلى الابتعاد عن ذلك الشيء ومجافاته بلا سند شرعي أو عقلي سوى العاطفة، والعاطفة وحدها لا توصل إلى الحق.

ولقد كرم الله بني آدم ومَنَّ عليهم بالقدرة والإرادة وميزهم بها على سائر الخلائق، وبهذا التكريم والتفضيل افترق الإنسان عن البهيمة في عدة صفات؛ منها العقل الراجح الذي يؤهله لتحمُّل التكاليف، ومنها التوازن بين العقل والشهوة فالبهيمة لا تحركها إلا الغرائز والشهوات كشهوة الطعام والشراب والنوم وحب البقاء والتزاوج وليس للعقل في عالم البهائم أثر حقيقي، وإنما السيطرة في عالم البهائم للشهوات والغرائز.

وأما الإنسان فعالم آخر عقله راجح وغرائزه وشهواته وعواطفه متزنة مع عقله، وكلما اكتمل لدى الإنسان هذا التوازن؛ ازداد كمالاً وعدلاً وتوفيقًا. ولا ننسى أن نذكر في هذا المقام أن العاطفة صفة مطلوبة وضرورية في الإنسان، وخاصة الداعية إلى الله تعالى إذا به يرغب في الأجر ويرهب من فواته، ويرجو ربه ويخاف منه، ويتأثر بما في كتاب الله من الوعظ والتذكير، وبالعاطفة يبقى الحب والتراحم والتآلف بين الناس ويصفح بعضهم عن بعض ويزول الشقاق.

ولولا العاطفة لفسدت عقيدة الولاء والبراء والحب في الله والبغض في الله. ولكن ينبغي ألا يكون للعاطفة المجردة الفصل في المواقف دون العقل، بل لا يكون الرشاد إلا بالتوازن. فالإنسان الذي تحرّكه عاطفته قبل عقله سهل الخداع كثير الأخطاء سريع القرار، ولو

أصبح الداعية إلى الله كذلك استخفَّ به القوم، وسقط من أنظارهم، واستسفهوا قوله وفعله، وفقد مكانته بين الدعاة المعتبرين.

لقد كان من أسباب اشتراط شهادة امرأتين في العقود والمعاملات التجارية أن المرأة في فطرتها ذات عاطفة فيَّاضة قد تؤدي بها إلى النسيان؛ يقول تعالى: «أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ» (البقرة: ٢٨٢).

وجاء فيما ينبغي مراعاته في "المفتي": ألَّا يفتي في حال انشغال قلبه بغضب أو رهب أو إرهاق أو شهوة، أو طمع في مصلحة أو غرض يناله من قِبل المستفتي مما يُخرجه من الاعتدال. وكذلك إذا طغت عليه شدة الحزن أو شدة الفرح ونحوهما؛ فإن غلب انفعاله على صحة تفسيره وجب عليه أن يكفَّ عن الإفتاء حتى يعود إلى طبيعته. وقد صح في البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال: "لا يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بيْنَ اثْنَيْنِ وهو غَضْبانُ" (صحيح البخاري ٧١٥٨).

وذكرَ ممَّا ينبغي مراعاته ألَّا يُفتي في المعاملات شخصًا قريبًا له إن كان إفتاؤه بما هو في صالح قريبه، ولا يفتي عدوًّا إن كان الجواب في غير صالحه؛ كل هذه الاعتبارات والشواهد تشير إلى شدة تأثير عاطفة الإنسان في مدى حكم تصرفاته واستقامة فكره وصحة قراره واعتدال موقفه يقول ابن القيم رحمه الله: "ومعلوم أن الرأي لا يتحقق إلا مع اعتدال المزاج... فالبدار بالانتقام حال الغضب يُعقب ندمًا؛ لأن عاطفة الغضبان تكون متأجِّجة بالغضب مما يحمله على الإسراف في الانتقام؛ فإذا هدأ وزال غضبه ندم على ما بدر منه... وطالما ندم المسرور على مجازفته في العطاء نعم! لأنه كان وقت عطائه غارقًا في السرور فبالغ في العطاء... وود لو كان اقتصد"؛ أي بعد أن زال عنه السرور الغامر وأصبح في حالته الطبيعية.

فالإنسان يحتاج إلى توازن بحيث لا يطغى العقل على العاطفة، ولا العاطفة على العقل.

وقد حصل هذا من أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه حصل من عمر الفاروق بنيته الطيبة وغيرته على دين الله تعالى، لقد كانت عاطفته إيمانية فياضة، ولكنها دفعته إلى الاستعجال بالرغم من مواقفه العظيمة رضي الله عنه التي وافقها القرآن مرات عديدة. ففي موقفه يوم الحديبية اعترض على بعض بنود الصلح غيرةً للدين؛ فكان يقول: يا رسول الله! ألسنا المسلمين؟ ألسنا المسلمين؟ أليسوا المشركين؟ فكيف نرضى بالدنية في ديننا؟ ويضطرب ويتألم رضي الله عنه.

إن هذه عاطفة إيمانية وموقف حميد في أصله من حيث المنبع، لكنه في تلك الظروف وبتلك الكيفية كانت العاطفة غالبة، ولذلك يقول رضي الله عنه بعد ذلك الموقف: "فعملتُ لذلك أعمالاً"؛ أي أعمالاً صالحة تجبر ذلك؛ حيث كان رضي الله عنه بعد ذلك إذا تذكَّر موقفه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتصدَّق ويعتق وينفق؛ ليُكفِّر عن ذلك الموقف.

عوامل ضبط التوازن بين العقل والعاطفة:

لا ينبغي للمسلم أن يتعجل في اتخاذ قرار ما لمجرد فرط محبة أو من أجل العصبية لعرق أو نسب أو بلد أو لمجرد الكراهية الشديدة لأمر ما؛ هذه المشاعر العاطفية المجردة تدفعك للعجلة، فتمهَّل وفكِّر ودعْ لنفسك وقتًا كافيًا للتأمل وإبعاد النظر، فإن التؤدة مهمة في ضبط التوازن بين العقل والعاطفة، هذا أولاً.

وثانيًا ينضبط التوازن بالتحكم في المشاعر بوضع كل شيء في مكانه الصحيح، فكما أن مقام الشفقة والرحمة لا يحتمل القسوة، فإن مقام الحزم والشدة لا يحتمل اللين والرأفة، وهذا ما نتعلمه من القرآن، قال سبحانه: «ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ» (النور: ٢)، الرأفة هي

أرق الرحمة، يعني: لا تمنعكم الشفقة من إقامة حدود الله؛ فليس الإنسان منهيًا عن الرأفة ذاتها، بل الرأفة صفة حميدة كانت من صفات النبي صلى الله عليه وسلم. ولكن ينبغي أن يكون استحضار الرأفة والعمل بمقتضاها في مواطنها الصحيحة.

وقد كان لسعد بن معاذ رضي الله عنه موقفٌ حازمٌ مع مواليه وأنصاره السابقين من يهود بني قريظة؛ فقد نزلوا على حكمه فيهم؛ طمعًا في حمايته؛ لكونه سيد الأوس، والأوس هم أقرب الناس إليهم من المسلمين، فهم حلفاؤهم حلفاء بني قريظة، ولكن لم يمنع سعدًا عاطفة ولا شفقة ولا سابق حلم وحمية من الحكم الصحيح في خيانتهم الكبرى. ولما أسَرَّ إليه بعض قومه من الأوس وهو على دابته سائرًا إلى موقع الحدث قالوا له: "يا سعد! أَجْمل إلى مواليك فأَحْسنْ فيهم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حَكَّمك فيهم"؛ يكررون ذلك عليه وهو ساكت لا يرجع إليهم شيئًا. فلما أكثروا عليه قال مقالته المشهورة: "لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم". فحكم فيهم أن يُقتل الرجال وتُسبَى الذرية، وتقسم الأموال. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد حكمت فيهم بحُكم الله من فوق سبع سموات"؛ هكذا تُجتَنب العاطفة عند إقامة الحدود.

ولقد كان موقف أبي بكر خير من موقف الفاروق بحادثة ارتداد بعض الأعراب عن دفع الزكاة؛ وذلك لما أمر أبو بكر بقتالهم فقال له عمر: يا خليفة رسول الله! تألف الناس وارفق بهم. رَدّ عليه الصّديق: "أجبّار في الجاهلية خوّار في الإسلام؟ فلماذا أتألفهم؟ قُبضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحي وتم الدين: أينقض وأنا حي؟ والله لو منعوني عقالاً كانوا يُعطونها رسول الله لقاتلتهم عليه".

وهكذا ينبغي أن يدرب الداعية المسلم نفسه على التحكم بعاطفته بحسب الموقف. وهذا ما يقودنا إلى العامل الثالث من عوامل ضبط التوازن بين العقل والعاطفة؛ ألا وهو: معرفة الموقف الشرعي الصحيح قبل الموقف العاطفي؛ لأننا أصلاً محاسبون على ما تُكنَه قلوبنا من وُدَ وحبَ أو بُغض وكُره. بل إن دين الإسلام قائم على ذلك؛ ففي سنن أبي داود بإسناد صحيح عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان".

ولا شك أن الالتزام بأحكام الشرع من الكتاب والسنة يضمن هذا التوازن بين العقل والعاطفة ويساعدك في ضبط النفس والعقل والقلب في كل موقف تلقاه أو واقعة استجدت عليك.

أما الأصل من القبيلة أو العِرْق أو القُربى إنما يأتي مكملاً للحبَ في الله؛ فإذا خرج الإنسان عن دين الله أو ابتدع فيه أو أعرض عن أصل من أصوله أو قدَم رضا الخلائق على رضا الله تعالى، أو قدم قوانين البشر على شريعة الإسلام؛ فقد يعيش معه المؤمن. وقد يصبر على كبائره ولكن لا يكون له في قلب المؤمن موطن، ولو كان ذا رحم، ولو كان ما كان ليس له في قلب المؤمن مودة؛ وذلك حتى يصطلح مع الله حتى يتوب إليه. يقول سبحانه وتعالى: «إنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحاتَ وَأَخْبَتُوا إلَى رَبِّهِمْ أُولَئكَ أَصْحَابُ الْجَنَّة هُمْ فيهَا خَالدُونَ» (هود: ١٢٣).

هذا الإخبات الذي هو الخشوع والاطمئنان عمل قلبي محض لا يحصل إلا من خلال عاطفة إيمانية عالية؛ لأن بعض الناس يصرَون على ربط الايمان بالعقل المجرد، وهذا مفهوم عقلاني جافَ. وانما خلق الله العقل للاستدلال على آياته والتعرَف على أحكامه. أما القلب الذي هو محل المشاعر والأحاسيس فهو مكان التقاء الايمان، فلا غنى لنا عن عاطفة إيمانية هي روح الدين ومحل انعقاده؛ قال تعالى في القلوب: «هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ» (الفتح: ٤).

وفقنا الله واياكم إلى السداد.

أخبار العالم الإسلامي

إسلام ٣٠٠ شخص وافتتاح بئرين للمياه بقرى غانا

تتابع "مؤسسة نماء الخيرية" قوافلها الدعوية المستمرة بمناطق وقرى دولة غانا الإفريقية، وهذه المرة توجَّهت بزيارة دعوية إلى قرية "نابايلي" التي استجاب عددٌ كبير من أهلها للإسلام، وأعلنت مؤسسة نماء الخيرية عن إسلام ٣٠٠ رجل وامرأة خلال الفعاليات الدعوية المختلفة في قرية "نابايلي"، لينضموا لعشرات المسلمين القدامى بالقرية، ويبلغ عددُ سكان القرية بالكامل حوالي ١٨٠٠ نسمة وأعداد المسلمين هناك في زيادة، كما أعلنت مؤسسة نماء الخيرية عن افتتاح بئر سطحية جديدة بمنطقة "جامو إنكوانتا" الواقعة بمنطقة "باسا" شمال غانا، وبالتعاون مع أحد المتبرعين، ويستفيد حاليًا من ماء البئر الجديدة أكثر من ألف شخص من المسلمين وغيرهم بقرية "جامو إنكوانتا" والقرى القريبة، وتخرج البئر ماءً صافيًا غزيرًا.

رد شيخ الأزهر علي تصريحات الرئيس الفرنسي عن الإسلام

صرح الرئيس الفرنسي ماكرون بأن "الإسلام اليوم يواجه أزمة في كل العالم وأن أقلية من مسلمي فرنسا، الذين يُقدر عددهم بنحو ستة ملايين نسمة، يمثلون خطر تشكيل "مجتمع مضاد، وقد هاجمت عدد من المؤسسات الإسلامية حول العالم تصريحات ماكرون، متهمين إياه بـ"العنصرية" و"كراهية الإسلام والمسلمين"، وقد انتقد الأزهر ماكرون ووصف تصريحاته بدعوة "للعنصرية" حيث قال شيخ الأزهر: « في الوقت الذي نسعى فيه مع حكماء الغرب لتعزيز قيم المواطنة والتعايش، تصدرُ تصريحات غير مسؤولة، تتخذ من الهجوم على الإسلام غطاءً لتحقيق مكاسب سياسية واهية، هذا السلوك اللاحضاري ضد الأديان يؤسِّس لثقافة الكراهية والعنصرية ويولِّد الإرهاب».

(إسرائيل) تجتذب الشباب العرب عبر التواصل الاجتماعي

نشرت صحيفة "واشنطن بوست" تقريرًا لمراسلتها في (إسرائيل) روث إغلاش، تحدثت فيه عن محاولات (إسرائيل) تطوير علاقات مع الدول العربية التي لا تربطها بها علاقة دبلوماسية رسمية من خلال استخدام ما أسمته "الدبلوماسية الرقمية"، ويشير التقرير إلى أن ليندا مينوحين كونها مشرفة على صفحات "فيسبوك" ومنصات التواصل الاجتماعي التابعة لوزارة الخارجية تحولت إلى سفيرة من نوع ما؛ هدفها هو إظهار "القيم المشتركة التي نشترك بها والتشابه بيننا"، وتنقل الصحيفة قول مينوحين: "وفي النهاية فأنت لا تنظر للحصاد الذي تحصده لكن البذور التي تزرعها وآمل أن تنمو". وتنقل الكاتبة عن وزير الخارجية إسرائيل كاتز، قوله: "هذه هي طريقة أخرى للتواصل مع العالمين العربي والإسلامي" تقول إغلاش: إن الكثير من أشرطة الفيديو لا تتطرق إلى النزاع الفلسطيني (الإسرائيلي)، وتحاول تقديم مظاهر الحياة والثقافة (الإسرائيلية). ويفيد التقرير بأن مينوحين تعمل في وزارة الخارجية مع فريق من ١٠ متخصصين يقدمون محتويات لصفحتين باللغة العربية على "فيسبوك" و"تويتر" و"إنستغرام" وقنوات على "يوتيوب"، مشيرًا إلى أن لدى الحسابات ما مجموعه ١٠ ملايين مشاهد من مختلف الدول العربية.

إعداد / محمد محمود فتحي

رسميًا إقليم كتالونيا يدرج مادة الدين الإسلامي في المدارس

قرّر إقليم كتالونيا الإسباني بدءَ تدريس الدين الإسلامي في المدارس العامة، وذلك وَفق قرار رسمي من وزارة التربية والتعليم الإسبانية، ينص على بدأ تدريس العقيدة الإسلامية خلال العالم الدراسي ٢٠٢٠ /٢٠٢١م، وتتضمن الخطة الجديدة إدراج مادة الدين الإسلامي في مدارس إقليم كتالونيا، النظر في تاريخ المسلمين في إسبانيا وتدريسه للطلاب، في كل من مدن برشلونة وبايكس يوبريغات وجيرونا وتاراغونا.

ويأتي هذا القرار نتيجة اتفاقية التعاون بين المفوضية الإسلامية في إسبانيا والدولة الإسبانية، وذلك بعد عددٍ من المطالبات المتزايدة للسكان المسلمين بإدراج مادة الدين الإسلامي في المدارس، كما تضمَّنت الخطة الجديدة تلقي الطلاب المسلمين تعليمًا دينيًا إسلاميًا في المدارس العامة في كل من مستويات تعليم الأطفال، والابتدائي، والثانوي، وذلك على يد مدرسين معيَّنين مِن قبَل اللجنة الإسلامية الإسبانية.

يشار إلى أن إقليم كتالونيا يحتوي على أكثر من ١.٥ مليون مسلم، من بين ٢ مليون مسلم في إسبانيا كلها، يليها إقليم أندلوسيا الذي يزيد عدد سكانه المسلمين عن ٣٠٠ ألف، ومدريد بعدد ٢٨٠ ألف مسلم، ووفقًا لآخر إحصاءات اتحاد الجاليات الإسلامية (UCIDE) ، فإن المسلمين يشكلون ٣.٨٪ من السكان الإسبان.

الاتحاد الإسلامي في نقابة المحامين يطالب العالم بالتحرك لحماية الأسرى

طالب الاتحاد الإسلامي في نقابة المحامين المجتمع الدولي والعربي والعالم الإسلامي بالتحرك العاجل لحماية الشعب الفلسطيني عامة، وحماية الأسرى والمعتقلين داخل السجون الصهيونية؛ باتخاذ موقف يتبعه قرار عاجل بإلزام الاحتلال الصهيوني بإلغاء اللجوء للاعتقالات الإدارية بشكل نهائي، كجزء أصيل من تنفيذ نصوص القانون الدولي، كما دعا شعوب العالم الحر والمتضامنين والمحبين للعدالة ودعاة السلام بتكثيف حراكهم الشعبي للتضامن مع قضية الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في السجون الصهيونية ودعمها، والعمل على ضرورة الإفراج عنهم، والضغط على حكوماتهم للتحرك بإلزام الكيان الغاصب لأرض فلسطين باتخاذ الخطوات الكفيلة بضمان إلزام كيان الاحتلال أن يحترم التزاماته القانونية بموجب القانون الدولي الإنساني، والقانون الدولي لحقوق الإنسان.

كما طالب المجتمع الدولي بإلزام العدو الصهيوني بإلغاء قرارات الاعتقال الإداري التي تستند إليها في اعتقالاتها التعسفية وغير المبررة ضد أبناء شعبنا الفلسطيني .

كما طالب مؤسسات ومنظمات حقوق الإنسان العربية والدولية بالخروج عن صمتها، وعدم الكيل بمكيالين أمام انتهاكات حقوق الإنسان التي يتعرض لها الأسرى ودعا الأطراف السامية الموقعة على اتفاقية جنيف الرابعة للوفاء بالتزاماتها الواردة في المادة الأولى من الاتفاقية، والتي تتعهد بموجبها بأن تحترم الاتفاقية وأن تكفل احترامها في جميع الأحوال.

وليمة العرس.. ومسكن الزوجية

إعداد **د. جمال عبد الرحمن**

الحمد لله الذي جعلنا من الأمة الوسط التي بعثها الله مُيسَّرة ولم يبعثها مُعسِّرة، والصلاة والسلام على نبينا محمد هادينا بإذن ربنا وشفيعنا في الآخرة.

وبعد: فإن شرع الله تعالى في الزواج أقربُ إلى السهولة واليسر، وبركة الله تعالى جُعلتْ لمن كان دينه وسطًا، وأمره سهلاً، ومؤونته يسرًا، فالله تعالى يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر. ومن الأمور التي يُنْدَب فيها بقوة إلى التيسير: الزواج؛ لأن التعسير والتشدُّد فيه يقف أمام الإحصان والعفة؛ سدًا مانعًا وحَجر عثرة، وطوبى لمن كان هيِّنًا لينًا، قريبًا سهلاً. والبركة من الله لمن كان مقتصدًا في مهره وجهازه ومسكنه، ووليمة عرسه، ونبدأ الحديث أولاً عن:

مسكن الزوجية:

كلما كان للعروسين مسكن خاص بهما كلما كان ذلك أهنأ لهما عند بنائهما، وأستر في حياتهما الجديدة، وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عليًا رضي الله عنه أن يسعى في ذلك ففعل، واستقلّ ببيتٍ خاصّ، لكنّه كان بعيدًا عن بيت الرسول صلى الله عليه وسلم قليلاً، فطلب من عليّ أن يقترب منه، فلما تيسّر ذلك تحوّل رضي الله عنه قريبًا من المصطفى صلى الله عليه وسلم.

إذن فلنتحدث عن مسكن العروس فاطمة، رضي الله عنها بنت سيد البشرية صلى الله عليه وسلم.

مسكن فاطمة رضي الله عنها:

عن أبي جعفر قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل على أبي أيوب سنة أو نحوها، فلما تزوج عليٌّ فاطمةَ قال النبي لعليّ: «اطلب منزلاً» فطلب عليّ منزلاً، فأصابه مستأخرًا عن النبي صلى الله عليه وسلم قليلاً، فبنى بها فيه، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إليها فقال: «إني أريد أن أُحوِّلكِ إليّ»، فقالت لرسول الله: فكلّم حارثة بن نعمان أن يتحوّل عني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد تحول؛ قد استحيَيْتُ منه» فبلغ ذلك حارثة فتحول وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله؛ إنه بلغني أنك تُحوّل فاطمة إليك، وهذه منازلي وهي أسقب (أقرب) بيوت بني النجار بك، وإنما أنا ومالي لله ولرسوله، والله يا رسول الله المال الذي تأخذ مني أحب إليّ من الذي تدع. (الطبقات الكبرى: ٨/١٩).

مساكن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم:

فلما قال حارثة بن النعمان ذلك له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صدقت؛ بارك الله عليك». فحوّلها إلى بيت حارثة. قال محمد بن عمر: وكانت لحارثة بن النعمان منازل قرب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوْله، وكلما أحدث رسول الله أهلاً تحوّل له حارثة بن النعمان عن منزله حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه. وعن معاذ بن محمد الأنصاري قال: سمعت عطاء الخراساني في مجلس فيه عمران بن أبي أنس يقول: أدركت حُجر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يُقرأ يأمر بإدخال حُجر أزواج النبي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما رأيت يومًا أكثر باكيًا من ذلك اليوم. قال عطاء: فسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ: "والله لوددت أنهم تركوها على حالها، ينشأ ناشئ من أهل المدينة ويقدم القادم من الأفق فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، فيكون ذلك مما يُزهّد الناس في التكاثر والتفاخر فيها، يعني الدنيا". قال معاذ: فلما فرغ عطاء الخراساني من حديثه قال عمران بن أبي أنس: كان منها أربعة أبيات بلبن لها حُجر من جريد، وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة لا حُجر لها، على أبوابها مسوح الشعر، ذرَعتُ الستر فوجدته ثلاث أذرع في ذراع والعظم أو أدنى من العظم، فأما ما ذكرت من كثرة البكاء فلقد رأيتني في مجلس فيه نفر من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو أمامة بن سهل بن حنيف وخارجة بن زيد، وانهم ليبكون حتى أخضل لحاهم الدمع، وقال يومئذ أبو أمامة: "ليتها تُركت فلم تُهدم حتى يقصر الناس عن البناء ويروا ما رضي الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ومفاتيح خزائن الدنيا بيده". (الطبقات الكبرى: ١/٣٨٨).

وليس كلامنا عن مساكن السلف أننا ننكر على الناس ما استحدثوه في الأبنية في نظامها وتطورها ونظافتها، وانما ندعو إلى الاقتصاد والتوسط وعدم المغالاة.

ضوابط في منازل الزوجية:

هذه البيوت كبرت أو صغرت ينبغي ألا تزيَّن بما يخالف الشرع، أو يُوضع بها ما يُنكره، تحت مسمى أن المناسبة فرحة عروسين، فإن الفرح ينبغي ألّا يكون بما يُغضبُ الله. ومن دُعي إلى عرسٍ فوجد منكرًا فليرجع، هذا هو الصواب.

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى: باب هل يرجع إذا رأى منكرًا في الدعوة؟ ورأى ابن مسعود صورة في البيت فرجع. ودعا ابن عمر أبا أيوب فرأى في البيت سترًا على الجدار، فقال ابن عمر: غلبنا عليه النساء، فقال أبو أيوب: من كنتُ أخشى عليه فلم أكن أخشى عليك، والله لا أطعم لكم طعامًا، فرجع. (صحيح البخاري: ٧/٢٥) وفي رواية: "من (كُنتُ) أخشى (عليه) أن تغلبنه النساءُ فلم (أكن) أخشى (عليكَ) أن تغلبنكَ! ثمَّ قال: لا أطعمُ لكم طعامًا، ولا أدخلُ لكم بيتًا" (آداب الزفاف للألباني ١٢٩).

(سترا) ستارة يغطى بها الجدار كالسجاد الذي يُوضع في أيامنا على الجدران في كثير من البيوت، وانما أنكره لأنه لا فائدة في استعماله فهو نوعٌ من التبذير، وكثيرًا ما يكون في هذا الستر صور لذوات الأرواح، فليحذر أهل الإسلام من تلك الأحوال فإنها تمنع دخول الملائكة والبركة.

وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها أخبرته أنها اشترت نُمرُقةً فيها تصاوير، فلمَا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على الباب فلمْ يدخل، فعرفتْ في وجهه الكراهية، قالت: يا رسول الله، أتوبُ إلى الله وإلى رسوله، ماذا أذنبْتُ؟ قال: ما بال هذه النُمرُقة فقالت: اشتريْتُها لتَقْعُد عليها وتوسّدها، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ أصْحابَ هذه الصُورِ يُعذّبُونَ يومَ القيامة، ويُقالُ لهمَ: أحْيُوا ما خلَقْتُمْ وقال: إنَ البيْتَ الذي فيه الصُورُ لا تَدْخُلُهُ الملائكة.(صحيح البخاري: ٥٩٦١).

ومما يتعلق بسكن العرس أن كثيرًا من الناس يشقون على الزوج باشتراط مسكن مملوك للزوج وليس بالايجار، بل ربما تجاوز بعضهم ليكتب السكن باسم الزوجة، وكل هذا من العسر والتشديد الذي لا يورث إلا الفشل والشقاق وربما الطلاق، فليتق الله أهالي العروسين

ويقتدوا بسيد الثقلين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإذا استقر العروسان في مسكنهما فالسُّنة أن يُولم وليمة ولو بشاة.

الوليمة والتعاون فيها والإهداء:

ومن التيسير في الزواج أيضًا الاقتصاد في الوليمة (ولو شاة)، بل والتعاون مع الزوج لإقامتها.

عن أنس بن مالك قال: ما أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة من نسائه أكثر أو أفضل مما أولم على زينب. فقال ثابت البناني: بم أوْلم؟ قال: أطعمهم خبزًا ولحمًا حتى تركوه. (صحيح مسلم ح٩١-١٤٢٨).

وعنه قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل بأهله، قال: فصنعت أمي أم سليم حيسًا (وهو الطعام المتخذ من التمر والدقيق والسمن) فجعلته في تَوْر: (إناء من حجارة أو من نحاس تشرب فيه العرب، ويُتوضأ منه) فقالت: يا أنس: اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل: بعثت بهذا إليك أمي، وهي تقرئك السلام وتقول: إنَّ هذا لك منا قليل يا رسول الله. قال: فذهبت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أمي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله فقال: «ضعه»، ثم قال: «اذهب فادعُ لي فلانًا وفلانًا وفلانًا ومن لقيت»، وسمى رجالاً، قال: فدعوت من سمى ومَن لقيتُ. قال: قلت لأنس عددُ كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة، وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أنس: هات التَّوْر» قال: فدخلوا حتى امتلأت الصُّفة والحجرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليتحلق عشرة عشرة وليأكل كل إنسان مما يليه» قال: فأكلوا حتى شبعوا، قال: فخرجت طائفة حتى أكلوا كلهم، فقال لي: «يا أنس: ارفع» قال: فرفعت، فما أدري حين وضعتُ كان أكثر أم حين رفعتُ. قال: وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله جالسٌ وزوجته مولية وجهها إلى الحائط، فثقلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلم على نسائه، ثم رجع، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجع، ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه، قال: فابتدروا الباب، فخرجوا كلهم، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أرخى السِّتر، ودخل وأنا جالسٌ في الحجرة، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى خرج عليَّ، وأنزلت هذه الآية، فخرج وقرأهن على النَّاس: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ» (الأحزاب: ٥٣). (صحيح مسلم: ١٤٢٨).

من هذا الحديث، نرى أنَّ السلف وهم الأخيار الأطهار لم يكونوا ينظرون إلى العروس وهي زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال أنس صلى الله عليه وسلم: «ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وزوجته مولية وجهها إلى الحائط».

فأين هذا الهدي الشريف والسلوك العفيف من أولئك المفرطين الذين فقدوا حياءهم فصاروا يزفون المرأة ويرقصون حولها وهي بينهم بثياب لا يجوز لها أن تظهر بها أمام الرجال إلا من فقدت حياءها وفسد طبعها وساء خُلقها؟ ويراها الغريب والقريب والبر والفاجر، فصارت بذلك معرَضًا لأهل التفسيق ومركزًا للتسويق. وخرج الحياء ولم يعُد، وراحت الغيْرة إلى غير رجعة. وانا لله وانا إليه راجعون.

ولا يشترط في الوليمة الذبائح:

عن أنس قال: أقام النبي صلى الله عليه وسلم بين خيبر والمدينة ثلاثًا يبني بصفية بنت حيي، فدعوت المسلمين إلى وليمته فما كان فيها من خبز ولا لحم؛ أمر بالأنطاع (فُرش) فألقي فيها من التمر والأقط (لبن مجفف يُطبخ به) والسمن فكانت وليمته. (صحيح البخاري ح٥٠٨٥). والدينُ يُسر.

إجابة دعوة الوليمة، ومن يُدعى إليها:

عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دُعي أحدكم إلى طعام فليُجب، فإن شاء طعم وان شاء ترك» (صحيح مسلم: ١٤٣٠).

وينبغي ألا تقتصر الدعوة على الأغنياء والوجهاء من الناس الذين ليسوا بحاجة إلى طعامها، ويُترك الفقراء والضعفاء وهم أحوج إليها، ومثل هذه الوليمة لا بركة في طعامها، ولا خير في أهلها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ، فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ». (صحيح مسلم ١٤٣٢).

والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢٤٤)

قصة مرض الصحابي خوات بن جبير ووصية النبي صلى الله عليه وسلم له

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد **علي حشيش**

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١- اشتهار هذه القصة لوجودها في بعض كتب السنة الأصلية، كما سنبين من التخريج.

٢- القصة متعلقة بمرض الصحابي خوات بن جبير، وقد ثبتت صحبته حيث ذكره الإمام الحافظ عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير المتوفى سنة (٦٣٠هـ) في كتابه «خوات بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي يكنى أبا عبد الله وقيل أبو صالح».

كذلك ذكره الحافظ ابن حجر المتوفى سنة (٨٥٢هـ) في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٢/٣٤٦/٢٣٠٠) ناقلاً نسبه الذي ذكره ابن الأثير، ثم قال: «ذكره موسى بن عقبة، وابن إسحاق، وغيرهما في البدريين، وقالوا: «إنه أصابه في ساقه حجر فَرُدَّ من الصفراء، وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه». كذا ذكره ابن الأثير.

كذلك ذكره الإمام الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٥/٥١٦/١٧١٦)، وقال: «خوات بن جبير بن النعمان الأنصاري، والد صالح بن خوات بن جبير، له صحبة، روى عنه ابنه صالح بن خوات بن جبير وآخرون». اهـ.

٣- عندما نثبت هذه الصحبة

للصحابي خوات بن جبير، ثم يذكر أنه مرض ثم عافاه الله ثم لقيه النبي صلى الله عليه وسلم، كما سنبين في متن هذه القصة، ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصاه فقال: «يا خوات ف الله بما وعدت». اهـ.

قوله: «ف الله» أي: من الوفاء بالوعد.

٤- وان تعجب فعجب أن يقول الصحابي خوات بن جبير للنبي صلى الله عليه وسلم: «يا رسول الله ما وعدت شيئا»، كما سنبين في المتن.

٥- ويذكر في هذه القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم يرد على نفي خوات بن جبير «يا رسول الله ما وعدت شيئا». ويكرر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: «فف الله بما وعدت». ويبين له النبي صلى الله عليه وسلم كيف وعد.

٦- ويحاول البعض أن يؤول الكلام المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة، وذلك لعدم درايته بالصناعة الحديثية، متوهمًا أن القصة ثابتة، وهي كما سنبين من التخريج والتحقيق أنها لم تصح، فأثبت العرش ثم انقش؛ حتى لا تتعرض لوعيد قول النبي صلى الله عليه وسلم حيث أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (ح١٠٩): من حديث سلمة بن الأكوع قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار».

من أجل هذه الأسباب سنبين للقارئ الكريم حقيقة هذه القصة من التخريج والتحقيق.

ثانيا: المتن:

رُوِيَ عن خوات بن جبير قال: «مرضت ثم أفقتُ فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: صَحَّ جسمك يا خوات». قلت: وجسمك يا رسول الله، فقال: «يا خوات ف لله بما وعدت».

قلت: يا رسول الله، ما وعدت شيئًا.

قال: «بلى يا خوات إنه ليس من مريض إلا جعل الله على نفسه إذا عافاه الله يفعل خيرًا وينتهي عن الشر، فف الله بما وعدت».

ثالثا: التخريج:

١- الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني المتوفى سنة (٣٦٥هـ) في «الكامل» (١٤٦/٦) (١٦٤٥/٢٤) قال: «حدثنا جعفر بن أحمد بن مروان الوزان الحراني بحلب، حدثنا علي بن جميل حدثنا محمد بن الحجاج البغدادي المصفر، حدثني خوات بن صالح بن خوات بن جبير، عن أبيه، عن جده خوات بن جبير قال: «مرضت ثم أفقت فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم....» القصة.

٢- وأخرجه الإمام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة (٣٦٠هـ) في «المعجم الكبير» (٢٠٤/٤) (ح٤١٤٨) قال: «حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا عبد الله بن الحكم بن أبي زياد القطواني حدثنا محمد بن الحجاج المصفر به. مختصرًا».

رابعا: التحقيق:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة لا يصح، والقصة واهية.

١- الراوي الأعلى لهذا الخبر الصحابي خوات بن جبير أبو عبد الله ويقال: أبو صالح، روى عنه ابنه صالح بن خوات بن جبير كذا في «تهذيب الكمال» (٥/ ٥١٦/ ١٧١٦) وتطبيقه في سند هذا الخبر، وهذا مهم حيث وقع تصحيف في بعض الكتب التي أخرجت هذا الخبر في اسم الراوي عن الصحابي خوات بن جبير.

٢- علة هذا الخبر: محمد بن الحجاج المصفر البغدادي، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٥٠٩/٧٣٥٢): روى عن خوات بن صالح بن خوات بن جبير، قال يحيى بن معين: «ليس بثقة»، وقال أحمد: «قد تركنا حديثه».

وقال البخاري: «سكتوا عنه»، وقال النسائي: «متروك». ثم ذكر الإمام الذهبي هذا الخبر وجعله من عجائب محمد بن الحجاج المصفر فقال: «ومن عجائبه حدثني خوات بن

صالح بن خوات بن جبير عن أبيه عن جده قال: مرضت ثم أفقت فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم... » القصة.

٣- وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٩٦): «محمد بن الحجاج المصفر كان ببغداد منكر الحديث جدًا، لا تحل الرواية عنه». اهـ.

٤- لقد نقل الإمام الذهبي أقوال أئمة الجرح والتعديل في محمد بن الحجاج المصفر، وكان لا بد من بيان مصطلحات هؤلاء الأئمة لنقف على درجته خاصة أن الإمام الذهبي نفسه قال في «الموقظة» (ص٤٨): «ثم أهم من ذلك أن نعلم بالاستقراء التام: عُرف ذلك الإمام الجهبذ واصطلاحه، ومقاصده بعباراته الكثيرة».

ثم قال: «وأما قول البخاري: سكتوا عنه. فظاهرها أنهم ما تعرضوا له بجرح ولا تعديل وعلمنا مقصده بالاستقراء: أنها بمعنى تركوه». اهـ.

قلت: ولقد قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (١/٦٤): «محمد بن حجاج المصفر كان ببغداد أبو عبد الله: «سكتوا عنه»». اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): «وثَمَّ اصطلاحات لأشخاص، ينبغي التوقيف عليها، من ذلك أن البخاري إذا قال في الرجل: «سكتوا عنه» أو «فيه نظر» فإنه يكون في أدنى المنازل وأردئها عنده، ولكنه لطيف العبارة في التخريج؛ فليعلم ذلك». اهـ.

قلت: ولقد قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٥٣٤): «محمد بن الحجاج المصفر: متروك الحديث». اهـ.

قلت: ولقد قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٥٣٤): «محمد بن الحجاج المصفر: متروك الحديث». اهـ.

وهذا المصطلح عند النسائي له معناه، حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣): «كان مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٥- ونقل الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٥/١٣٣) (٧١٧٦/٣٩١) أقوال أئمة الجرح والتعديل التي نقلها الإمام الذهبي في «الميزان» في محمد بن الحجاج المصفر وأقرها، وزاد عليها: «قال الأزدي: وهو متروك الحديث، وقال العجلي: متروك الحديث، وقال حاتم بن الليث: كان يتشيع فتُرك حديثه، وقال أبو داود: غير ثقة، وقال أبو نعيم الأصبهاني: منكر الحديث، وقال أبو زرعة: روى أحاديث بواطيل». اهـ.

خامسًا: الاستنتاج:

مما أوردناه من أقوال أئمة الجرح والتعديل يتبين أن: محمد بن الحجاج المصفر: متروك منكر الحديث جدًا لا تحل الرواية عنه غير ثقة يروي أحاديث بواطيل، فالخبر باطل، والقصة واهية لا تحل روايتها.

سادسًا: طريق آخر للقصة:

أخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «الكبير» (٤/٢٠٥) (ح٤١٤٨) قال: حدثني موسى بن زكريا التستري، حدثنا شباب العصفري، حدثنا عبد الله بن إسحاق الهاشمي، حدثنا خوات بن صالح بن خوات بن جبير، عن أبيه، عن جده، فذكر القصة باختصار.

وأخرجه الحافظ في «المستدرك» (٣/٤١٣) قال: حدثنا أحمد بن يعقوب الثقفي، حدثنا موسى بن زكريا التستري به.

وعلته: موسى بن زكريا التستري، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/٢٠٥/٨٨٦٤): «تكلم فيه الدارقطني، وحكى الحاكم عن الدارقطني: أنه متروك». اهـ.

وعلة أخرى: عبد الله بن إسحاق الهاشمي قال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/٢٣٣/٧٨٣): «له أحاديث لا يُتابع منها على شيء». اهـ. فهذا الطريق سنده تالفٌ لا يزيد القصة إلا وهنًا على وهن.

هذا ما وفقني الله تعالى إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار

في بيان ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة (٩٨)

القسم الثاني

علي حشيش

٨٨٢- «لن تزول قدما شاهد الزور حتى يوجب الله له النار».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح٢٣٧٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/٩٨)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/١٢٣/١٦٨١) من حديث ابن عمر مرفوعًا، وعلته محمد بن الفرات أبو علي التميمي كوفي، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/٣/٨٠٤٧): «كذبه أحمد، وأبو بكر بن أبي شيبة، وقال أبو داود: روى عنه محارب بن دثار أحاديث موضوعة، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن معين: ليس بشيء». اهـ.

وقال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٨١): «محمد بن الفرات كان ممن يروي المعضلات عن الأثبات حتى إذا سمعها مَن الحديث صناعتُه علم أنها موضوعة لا يحل الاحتجاج به». اهـ.

٨٨٣- «الطير يوم القيامة ترفع مناقيرها، وتغرب بأذنابها وتطرح ما في بطونها».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٦/١٣٧) (١٩/١٦٤٠) من حديث ابن عمر مرفوعًا، وعلته محمد بن الفرات وهو كذاب يروي عن محارب بن دثار أحاديث موضوعة، وهذا منها كما بينا حاله آنفًا.

٨٨٤- «إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله تبارك وتعالى، انصرف كيوم ولدته أمه».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١/١٦٦) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجده». اهـ.

٨٨٥- «ناداني جبريل من تلقاء العرش، فقال: يا محمدُ، يقولُ لك الرحمنُ عزَّ وجلَّ: مَن ذُكِرْتَ بين يديه فلم يصلِّ عليك دخل النار».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٢٦٧٤- الغرائب الملتقطة) من حديث عبد الله بن جراد مرفوعًا، وعلته يعلى بن الأشدق. قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/٤٥٦/٩٨٣٤): «يعلى بن الأشدق كان حيًّا في دولة الرشيد، قال البخاري: لا يُكتب حديثه، وقال أبو زرعة: ليس بشيء لا يصدق، وقال ابن حبان: وضعوا له أحاديث فحدَّث بها ولم يَدْرِ». اهـ.

٨٨٦- «عُرضت عليَّ أعمالُ أمتي فوجدت منها المقبول والمردود إلا الصلاة عليَّ».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة» (ح٢٩٨)، وقال: «لم أقف له على سند». اهـ. ونقله القاري في «المصنوع» (ح١٩٢) وأقره». اهـ.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

تابع: جولة مع ابن قدامة في مناظرته الأشاعرة لإثبات صفة الكلام على حقيقتها، وأنه بحرف وصوت لا يشبه حروف وأصوات المخلوقين

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فإضافة إلى ما سبق أن ذكرناه للعلامة ابن قدامة في رد شبهات الأشاعرة ودحض حججهم، قوله رحمه الله في كتابه (مناظرة أهل البدع في القرآن وكلام الله القديم): وإبَان ردَه أباطيل الأشاعرة وقولهم: إن القرآن ليس كلام الله، وإنما هو عبارة عنه: قال: "والأمة مجمعة على أن هذا القرآن، هو الذي لا تصح الصلاة إلا به، ولا تصح الخُطبَة إلا بآية منه، ولا يَقرأه حائض ولا جنب، ولَمّا اختلف أهل الحق والمعتزلة فقال أهل الحق: (القرآن كلام الله غير مخلوق)، وقالت المعتزلة: (هو مخلوق)، لم يكن اختلافهم في هذا الموجود دون ما في نفس الباري مما لا يُدرى ما هو ولا نعرفه، ولَمّا أمر الله بترتيل القرآن بقوله: (وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا) (المزمل/٤)، لم يفهم منه المسلمون إلا هذا الموجود، ولما قال الوليد بن المغيرة: (إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ) (المدثر/٢٥)، إنما أشار إلى هذا النظم، فتوعده الله بقوله: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) (المدثر/٢٦)، ولَمّا قالوا: (لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ) (سبأ/٣١) إنما أشاروا إليه، ولما قالوا: (إن هذا إلا أساطير الأولين)، لم يعنوا غيره.

ولو لم يكن هذا النظم قرآنا لوجب أن تبطل الصلاة به لما في صحيح مسلم: (إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)، فعلى قول هؤلاء المخذولين يكون القرآن الذي لا تصح الصلاة إلا به، مبطلاً لها لأنه ليس بقرآن وإنما هو-بزعمهم- تصنيف جبريل، وهذه فضيحة لم يُسبقوا إليها.

وأجمع المسلمون على أن القرآن معجز للخلق عجزوا عن الإتيان بعشر سور مثله أو سورة من مثله، وإنما يتعلق ذلك بهذا القرآن، وهو هذا القرآن الذي أجمع عليه المسلمون وكفر به الكافرون وزعمت المعتزلة أنه مخلوق.. ولا خلاف بين المسلمين أن من جحد آية أو كلمة أو حرفاً أنه كافر، وقال علي: (من كفر بحرف منه

فقد كفر به كله).. والأشاعرة يجحدون ذلك كله ويقولون: ليس شيء منه قرآنا وانما هو كلام جبريل، ولا خلاف بين المسلمين كلهم في أنهم يقولون: (قال الله كذا)، إذا أرادوا أن يخبروا عن آية أو يستشهدوا بكلمة من القرآن، والا فكان ينبغي إذا حكوا آية، أن يقولوا: قال جبريل، أو قال النبي عليه السلام.

ثم إنهم-يعني: الأشاعرة- قد أقروا أن القرآن كلام الله غير مخلوق، فإذا لم يكن القرآن هذا الكتاب العربي الذي سماه الله قرآناً، فما القرآن عندهم؟: وبأي شيء علموا أن غير هذا يسمى قرآنا، فإن تسمية القرآن إنما تعلم من الشرع أو النص.. وما ورد النص بتسميته: (القرآن) إلا لهذا الكتاب، ولا عرفت الأمة قرآنا غيره.

أ- فضح ابن قدامة لحقيقة ما عليه الأشاعرة من: أن القرآن حكاية عن جبريل

ومدار القوم، على: القول بخلق القرآن ووفاق المعتزلة، ولكن أحبوا أن لا يُعلم بهم، فارتكبوا: مكابرة العيان، وجحد الحقائق، ومخالفة الإجماع، ونبذ الكتاب والسنة وراء ظهورهم، والقول بشيء لم يقله قبلهم مسلم ولا كافر.

ومن العجب أنهم لا يتجاسرون على إظهار قولهم ولا التصريح به إلا في الخلوات، ولو كانوا ولاة الأمر وأرباب الدولة.. وإذا حكيت عنهم مقالتهم التي يعتقدونها كرهوا ذلك وأنكروا وكابروا عليه، ولا يتظاهرون إلا بتعظيم القرآن وتبجيل المصاحف، وفي الخلوات يقولون ما فيها إلا الورق والمداد وأي شيء فيها؟، وهذا فعل الزنادقة.

ولقد حَكيتُ عن الذي جرت المناظرة بيني وبينه بعض ما قاله، فنقل إليه ذلك فغضب وشق عليه وهو من أكبر ولاة البلد، وما أفصح لي بمقالته حتى خلوتُ معه وقال: (أريد أن أقول لك أقصى ما في نفسي، وتقول لي أقصى ما في نفسك)، وصرح لي بمقالتهم على ما حكيناه عنهم، ولمّا ألزمته بعض الآيات الدالة على أن القرآن هو هذه السور، قال: (وأنا أقول: إن هذا قرآن، ولكن ليس هو القرآن القديم)، قلت: (ولنا قرآنان؟!)، قال: (نعم، وأي شيء يكون إذا كان لنا قرآنان؟!)".

يقول ابن قدامة: "ولا نعرف في أهل البدع طائفة يكتمون مقالتهم ولا يتجاسرون على إظهارها إلا الزنادقة والأشعرية، وقد أمر الله رسوله بإظهار الدين والدعاء إليه وتبليغ ما أنزل عليه، فقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ) (المائدة/٦٧)، فإن كانت مقالتهم كما يزعمون هي الحق: فهلا أظهروها ودعوا الناس إليها؟! وكيف حلّ لهم كتمانها وإخفاؤها والتظاهر بخلافها وإيهام العوام اعتقاد ما سواها؟! بل لو كانت مقالتهم هي الحق الذي كان عليه رسول الله وأصحابه والأئمة الذين بعدهم، كيف لم يُظهرها أحد منهم وكيف تواطئوا على كتمانها؟! أم كيف حلّ للنبي كتمانها عن أمته وقد أمر بتبليغ ما أنزل إليه وتوعّد على إخفاء شيء منه؟! أم كيف وسعه-كما هو مؤدى كلامهم- أن يوهم الخلق خلاف الحق؟!.

ثم هو صلى الله عليه وسلم أشفق على أمته من أن يُعلمه الله حقاً ويأمره بتبليغه إلى أمته فيكتمه عنهم حتى يضلوا عنه، ثم إذا كتمه فمن الذي بلّغه إلى الصحابة حتى اعتقدوه ودانوا به؟! وكيف تُصُوّر منهم أن يدينوا به ويتواطئوا على كتمانه حتى لا يُنقل عن أحد منهم مع كثرتهم وتفرقهم في البلدان؟! فإن تُصُوّر ذلك منهم، فمن الذي نقله إلى التابعين حتى اعتقدوه؟!.. فكل هذا من المستحيل الذي يَقطع كل ذي لب بفساده، ويعلم يقيناً أن رسول الله وأصحابه وتابعيهم ما كانوا يعتقدون في القرآن اعتقاداً سوى اعتقاد المسلمين، وأنه هذا القرآن العربي الذي هو

سور وآيات، وهذا أمر لا يخفى على غير من أضله الله.

ب- دحض ابن قدامة فرية الأشاعرة في نفي الحرف عن كلام الله

فإن قالوا: (فكيف قلتم إن القرآن حروف، ولم يرد هذا في كتاب ولا سنة ولا عن أحد من الأئمة؟)؛ قلنا: (قد ثبت أن القرآن هو هذه السور والآيات، ولا خلاف بين العقلاء كلهم مسلمهم وكافرهم في أنها حروف، ولا يختلف عاقلان في أن «الحمد» خمسة أحرف، واتفق المسلمون كلهم على أن سورة الفاتحة سبع آيات، واتفقوا كلهم على أنها كلمات وحروف، وقد افتتح الله كثيرا من سور القرآن بالحروف المقطعة مثل «آلم» و«آلر»، ولا يجحد عاقل كونها حروفاً إلا على سبيل المكابرة).

فإن قالوا: (لا يسوغ لكم أن تقولوا لفظة لم ترد في كتاب ولا سنة وإن كان معناها صحيحاً ثابتاً)، قلنا: (هذا خطأ، فإنه لا خلاف في أنه يجوز أن يقال: إن القرآن مائة وأربع عشرة سورة، وإن سورة البقرة مائتان وست وثمانون آية، وفي عدّ آي سور القرآن وأحزابه وأسباعه وأعشاره، وإن لم يرد لفظ في ذلك في كتاب ولا سنة).

على أن لفظ (الحرف) قد جاءت به السنة وأقوال الصحابة وإجماع الأمة فقد قال عليه السلام: (من قرأ القرآن وأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف منه حسنة)، وقال: (اقرءوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم)، وقال كما في الصحيحين: (أنزل القرآن على سبعة أحرف)، وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: (إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه) وسبق لنا قول عليّ.

وعن ابن مسعود: (تعلموا القرآن فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول «آلم» حرف، بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف)، وعنه: (من حلف بالقرآن فعليه بكل حرف كفارة)، وقال الحسن البصري: (قراء القرآن ثلاثة: وذكر منهم: وقوم حفظوا حروفه وضيعوا حدوده)، وقال حذيفة وفضالة: (خذ عليَّ المصحف ولا تردنّ عليَّ ألفاً ولا واواً).. وذكر أبو عبيد وغيره من الأئمة في تصانيفهم: (باب اختلافهم في حروف القرآن)، واتفق أهل الأمصار من أهل الحجاز والعراق والشام على عدد حروف القرآن، فعدَّها كل أهل مصر وقالوا: (عددها كذا وكذا)، وقال يوسف بن أسباط: (من قرأ القرآن زوّجه الله بكل حرف زوجتين من الحور العين).

ولم تزل هذه الأخبار ولفظة (الحرف) متداولة منقولة بين الناس، لا ينكرها منكر ولا يختلف فيها أحد، إلى أن جاء الأشاعرة فأنكروها وخالفوا الخلق كلهم مسلمهم وكافرهم، ولا تأثير لقولهم عند أهل الحق، ولا تترك الحقائق وقول رسول الله وإجماعُ الأمة لقولهم، إلا من سلبه الله التوفيق وأعمى بصيرته وأضله عن سواء السبيل".

جـ- ودحضه فرية الأشاعرة في نفيهم الصوت عن كلامه تعالى:

قال: "وقال الأشاعرة في رد كلام أهل السنة: قد قلتم إن الله يتكلم بصوت، ولم يأت به كتاب ولا سنة: قلنا: بل قد ورد به الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق، أما الكتاب فقول الله تعالى: (وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا) (النساء/١٦٤)، وقوله: (مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ) (البقرة/٢٥٣)، وقوله: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ) (الشورى/٥١)، وقوله: (وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ) (الشعراء/١٠)، ولا خلاف بيننا أن موسى سمع كلام الله من الله بغير واسطة، ولا يُسمع إلا الصوت، فإن الصوت هو ما يتأتى سماعه، وقد صح عن النبي قوله:

(إن الله يجمع الخلائق فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان)، وذكر عبد الله بن أحمد أنه قال: (سألت أبي فقلت: إن الجهمية يزعمون أن الله لا يتكلم بصوت، فقال كذبوا، إنما يدورون على التعطيل)، ثم ذكر أثر ابن مسعود: (إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء)، قال أبو نصر السجزي: (وهذا الخبر ليس في رواته إلا إمام مقبول، وقد رُوي مرفوعاً).

وفي بعض الآثار: أن موسى عليه السلام لما ناداه ربه: (يا موسى)، أجاب سريعًا استئناسًا بالصوت، فقال: (لبيك أسمعُ صوتك ولا أرى مكانك، فأين أنت؟): قال: (أنا فوقك وأمامك ووراءك وعن يمينك وعن شمالك): فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى، وقال: (فكذلك أنت يا رب، أفكلامك أسمع أم كلام رسولك؟): قال: (بل كلامي).. وفي أثر آخر أن موسى لما ناداه ربه ثم سمع كلام الآدميين مقتهم، لما وقر في مسامعه من كلام الله، ومثله في الآثار كثير تناولته الأمة ولم ينكره إلا مبتدع لا يُلتفت إليه.

فإن قالوا: (فالصوت لا يكون إلا من هواء بين جرمين)، قلنا: (هذا من الهذيان الذي أجبنا عن مثله في الحرف)، وقلنا: (إن هذا قياس منهم لربنا على خلقه، وتشبيه له بعباده، وحكمٌ عليه بأنه لا تكون صفته إلا كصفات مخلوقاته وهذا ضلال بعيد).. ثم إنه يلزمهم مثل هذا في بقية الصفات على ما أسلفناه".

وعلى إثر ردوده المفحمة على الأشاعرة، يكشف ابن قدامة عن السبب في انحراف الأشاعرة وأنه يكمن في إعمالهم العقل فيما استأثر الله بعلمه، ومن ذلك وعلى الرأس منه: البحث عن ذات الله تعالى وكيفية صفاته، و"أن معتمدنا نحن-معاشرَ أهل السنة- في صفات الله إنما هو الاتباع، نصفُ الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، ولا نتعدى ذلك ولا نتجاوزه، ولا نتأوله ولا نفسر كيفيته، ونعلمُ أنّ ما قال الله ورسوله حق وصدق، ولا نشك فيه ولا نرتاب، ونعلم أنّ لما قال الله ورسوله معنى هو به عالم، فنؤمن به بالمعنى الذي أراده ونكل علمه إليه، ونقول كما قال سلفنا الصالح وأئمتنا المقتدى بهم: (آمنا بالله، وما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله)، نقول ما قال الله ورسوله، ونسكت عما وراء ذلك، نتبع ولا نبتدع، بذلك أوصانا الله في كتابه وأوصانا رسول الله في سنته وأوصانا به سلفنا رضي الله عنهم، فقال تعالى: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) (الأنعام/١٥٣)، وقال تعالى: (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم) (الزمر/٥٥)، وقال لرسوله عليه السلام: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (آل عمران/٣١)، وقال عليه السلام: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور)، وقال ابن مسعود: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)، وقال عمر بن عبد العزيز: (قف حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وهم كانوا على كشفها أقوى، وإنهم لهُم السابقون، فلئن كان الهدي ما أنتم عليه، لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم: حدث حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم)، وقال الأوزاعي: (عليك بآثار السلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول).

ولم يزل السلف الصالح من الصحابة والأئمة بعدهم، يعظمون هذا القرآن، ويعتقدون أنه كلام الله، ويتقربون إلى الله بقراءته، ويقولون إنه غير مخلوق، ومن قال: إنه مخلوق فهو كافر"..

وإلى لقاء،

والحمد لله رب العالمين.

الأمل هو الحياة

إعداد **د. ياسر لمعي عبد المنعم**

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد
جامعة غينيا العالمية

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

العبد لا يملك حياةً إلا إذا كان هناك أمل وتفاؤل، ويعتقد أن دوام الحال من المحال، أما اليأس فليس له مكان مع العبد المؤمن، فمن استحق لقب العبد وجب عليه الإلتزام بقوله تعالى: «وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّه إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّه إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ» (يوسف: ٨٧).

الأمل هو تلك القوة الدافعة التي تشرح الصدر للعمل، وتخلق دواعي الكفاح من أجل الواجب، وتبعث النشاط في الروح والبدن، وتدفع الكسول إلى الجد، والمُجدَ إلى المداومة، كما تدفع المُخفق إلى تكرار المحاولة حتى ينجح، وتُحفز الناجح إلى مضاعفة الجهد ليزداد نجاحه فينفع أمته وينفع نفسه.

الأمل: ذلك الشعاع الذي يلوح للإنسان في دياجير الحياة فيُضيء له الظلمات، ويُنير له المعالم ويهديه السبيل، ذلك هو الأمل، الذي به تنمو شجرة الحياة، ويرتفع صرح العمران، ويذوق المرء طعم السعادة، ويحس ببهجة الحياة.

الأمل قوة دافعة تشرح الصدر للعمل، وتخلق دواعي الكفاح من أجل الواجب، وتبعث النشاط في الروح والبدن، وتحفز الناجح إلى مضاعفة الجهد ليزداد نجاحه.. إن الذي يدفع الزارع إلى الكدح والعرق أمله في الحصاد، والذي يغري التاجر بالأسفار والمخاطر أمله في الربح، والذي يبعث الطالب إلى الجد

والمثابرة أمله في النجاح، والذي يحفز الجندي إلى الاستبسال أمله في النصر، والذي يهون على الشعب المستعبد تكاليف الجهاد أمله في التحرر، والذي يحبب إلى المريض الدواء المر أمله في العافية، والذي يدعو المؤمن أن يخالف هواه ويطيع ربه أمله في رضوانه وجنته.

الأمل حُسن الظن بالله؛ إذ إن الإيمان بالوعود الربانية واجب.

قال تعالى: «سيجعل الله بعد عسر يسرًا» (الطلاق: ٧). أي: سيؤتي المقل بعد ضيق فرجًا، وبعد فقر غنى، تسلية للمعسرين من فقراء الأزواج، وتصبير لمطلقاتهم، وتطييب لقلوب الجميع، وتبشير عام. وعدًا منه تعالى، ووعده حق، لا يخلفه، وهذه كقوله تعالى: «فإن مع العسر يسرًا إن مع العسر يسرًا» (الشرح: ٥، ٦).

الأمل: هو الذي يدعو المؤمن أن يخالف هواه، ويطيع مولاه؛ لنيل رضا ربه سبحانه وتعالى والفوز بجنته. فالإنسان المتفائل يقابل شدائد الحياة بقلب مطمئن، ووجه مستبشر، لا ينقطع أمله في تبديل حال العسر إلى يسر بأمر الله، وإذا اقترف ذنبًا لم ييأس من رحمة الله ومغفرته، تعلقًا وأملًا بقول الله عز وجل: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (الزمر:٥٣)، هذه الآية العظيمة دعوة ألا ييأس الإنسان من رحمة من بسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، وبسطها بالليل ليتوب مسيء النهار، حتى ولو تجاوز الحد في الخطايا والإسراف.

الأمل هو شعور داخلي بالرضا، وثقة تتحول إلى راحة نفسية لدى ذلك الإنسان الذي علق أمله بالله ولم يقنط، والتفاؤل أيضًا هو النظرة الإيجابية عندما توصد الأبواب، وهو طوق النجاة عند الملمات، فالمسلم المتفائل هو إنسان سعيد في دنياه، متوكل على مولاه، تجده طموحًا ومبادرًا لكل جميل، والقرآن يحدثنا عن التفاؤل في ثنايا سورة آل عمران: «وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» (آل عمران:١٣٩)، وهذا هو النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول لصاحبه الصديق: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» (التوبة:٤٠). آيات بيّنات ملؤها التفاؤل والثقة في وعد الله ونصره.

فانظر إلى عقيدة الأنبياء والمرسلين في الأمل والتفاؤل والتي صورها القرآن الكريم: فهذا إبراهيم -عليه السلام- قد صار شيخًا كبيرًا ولم يُرزق بعدُ بولد، فيدفعه حسن ظنه بربه أن يدعوه: «رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ» (الصافات: ١٠٠)، فاستجاب له ربه ووهب له إسماعيل

> الأمل قوة دافعة تشرح الصدر للعمل، وتخلق دواعي الكفاح من أجل الواجب، وتبعث النشاط في الروح والبدن، وتحفز الناجح إلى مضاعفة الجهد ليزداد نجاحه.

> **الإنسان المتفائل يقابل شدائد الحياة بقلب مطمئن، ووجه مستبشر، لا ينقطع أمله في تبديل حال العسر إلى يسر بأمر الله.**

وإسحاق - عليهما السلام.

ونبي الله يعقوب -عليه السلام- فقد ابنه يوسف -عليه السلام- ثم أخاه، ولكنه لم ييأس، ولا سرى في عروقه القنوط، بل كان متخمًا بالأمل والرجاء وحسن الظن وقال: «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» (يوسف: ٨٣)، وما أجمله من أمل تعززه الثقة بالله -سبحانه وتعالى- حين قال: «يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ» (يوسف: ٨٧).

وأيوب -عليه السلام- ابتلاه ربه بذهاب المال والولد والعافية: قال الله تعالى: «وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ × فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ» (الأنبياء: ٨٣-٨٤).

قال تعالى: «قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ» (الأنعام: ٦٤).

قال الإمام السعدي في قوله تعالى: «قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ» أي: من هذه الشدة الخاصة، ومن جميع الكروب العامة. «ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ» لا تفون لله بما قلتم، وتنسون نعمه عليكم، فأي برهان أوضح من هذا على بطلان الشرك، وصحة التوحيد؟"

أما الشيخ سيد طنطاوي في كتابه الوسيط فكتب: «قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ» أي قل لهم يا محمد: الله وحده هو الذي ينجيكم من هذه المخاوف والأهوال، ومن كل غم يأخذ بنفوسكم، ثم أنتم بعد هذه النجاة تشركون معه غيره، مخلفين بذلك وعدكم حانثين في أيمانكم.

كذلك الإمام الرازي أسهب في العبارة فقال: "والمقصود من ذلك أنه عند اجتماع هذه الأسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الإنسان إلا إلى الله. وهذا الرجوع يحصل ظاهرًا وباطنًا؛ لأن الإنسان في هذه الحالة يعظم إخلاصه في حضرة الله، وينقطع رجاؤه عن كل ما سواه، وهو المراد من قوله: «تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً» فبين -سبحانه- أنه إذا شهدت الفطرة السليمة والخلقة الأصلية في هذه الحالة بأن لا ملجأ إلا إلى الله ولا تعويل إلا على فضله، وجب أن يبقى هذا الإخلاص في كل الأحوال، لكن الإنسان ليس كذلك فإنه بعد الفوز بالسلامة والنجاة يميل بتلك السلامة إلى الأسباب الجسمانية ويقدم على الشرك.

ولفظ الآية يدل على أنه عند حصول الشدائد يأتي الإنسان بأمور:

أحدها: الدعاء.

وثانيها: التضرع.

وثالثها: الإخلاص بالقلب هو المراد من قوله: «وَخُفْيَةً».

ورابعها: التزام الاشتغال بالشكر. ونظير هذه الآية

قوله - تعالى - «وَإِذَا مَسَّكُمُ الضر في البحر ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ» (الإسراء: ٦٧). وقوله: «وظنوا أَنَّهُمْ أحيط بِهِمْ دَعَوُا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدين» (يونس: ٢٢)، وبالجملة فعادة أكثر الناس أنهم إذا شاهدوا الأمر الهائل أخلصوا، وإذا انتقلوا إلى الأمن والرفاهية أشركوا به".

الخلاصة: لماذا الأمل هو الحياة؟؟

لأنه ضرورة نفسية، وحتمية روحية، ولازمة إنسانية ودرجة إيمانية.

لا شك أن اليأس عدو لدود يجب محاربته، وعدم الاستسلام له، وذلك من خلال التوكل على الله والتحلي بالأمل. «وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين» (المائدة: ٢٣).

الأمل يقذف بالمرء إلى سماء الله ليُحلق فيها، ويُغرد كالطير متوكلا على مولاه واثقا بموعوده.

الأمل يمنح المرء ويبعث في نفسه ثقة وأمانا وطمأنينة ويزيده يقينا وثقة وإيمانا في ربه وسكينة.

لأنه طالما أن هناك ربًا عظيمًا قادرًا، إذن فلابد من توكل وأمل يدفع المرء دفعًا ويهيمن عليه كُلًا وجزءًا؛ ليتمكن من الفرار من قيد نفسه وقيد إبليس وجنده إلى رحاب ربه الخالق العظيم الرحمن وجنده.

الأمل يُعلي الهمة ويقوّي الفكرة ويزيل المحنة ويُبدد الظلمة ويُخرج من الأزمة ويستوجب الرحمة.

الأمل يُجدد الروح ويبعث فيها الحياة ويستطيع المرء أن يُسطر به كل إبداع ويزيل به كل ما هو للسعادة مُذهب.

من يتحلَّ بالأمل يستطع مواجهة من عاداه وكاد له وعطّل مسيرته ووقف حائلًا أمامه لسنين طويلة، حتى لو كان قد حال دون تحقيق الكثير من الخير له في ماضيه أو حاضره.

تذكر - رحمك الله - أنه لا أمل بلا حياة، ولا حياة بلا أمل، ولا وجود لليأس مع العبد المؤمن.

هذا مقالي لك، أرجو أن تقرأ مبناه، وتستوعب معناه، ثم تستخلص بعد ذلك فحواه- كما أرجو أخيرًا- أن تتوج قراءتك لمقالي بالتواصل الهادف، والإضافة البناءة، ونشره، وشرحه، وبثه للجميع.

هذا وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفي إلى رحمة الله تعالى الشيخ حمودة جودة رئيس فرع المطرية بمحافظة الدقهلية، نسأل الله تعالى أن يغفر له ويرحمه رحمة واسعة.

ويتقدم أعضاء مجلس الإدارة وأسرة مجلة التوحيد بخالص العزاء إلى أسرته ومحبيه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

صلاة الجنازة

الحلقة الخامسة

إعداد **د. حمدي طه**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد تكلمنا في اللقاء السابق عن سنن صلاة الجنازة؛ وهي: رفع اليدين في التكبيرة الأولى، وإسرار القراءة ودعاء الاستفتاح بعد التكبيرة الأولى، والتعوذ والقراءة، وتسوية الصف، والدعاء للميت بالمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم والتسليمة الثانية، وصلاة الجنازة في جماعة، ونكمل الحديث عن كيفية صلاة الجنازة وبعض المسائل المهمة في صلاة الجنازة.

كيفية صلاة الجنازة:

بعد أن انتهينا من بيان أركان الصلاة وسننها عند الفقهاء أبيّن باختصار كيفية صلاة الجنازة حسب المشهور عند كل مذهب من المذاهب الأربعة؛ حتى يسهل معرفتها، خاصة وأن هذه المذاهب هي المتبوعة إلى الآن في أكثر الأمصار، ونشير إلى الأركان للتذكرة.

أولاً عند الحنفية:

ينوي المصلي الصلاة، ثم يكبِّر، ويرفع يديه في التكبيرة الأولى فقط، ثم يثني على الله ويحمده وهو أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك.... إلى آخره وهو دعاء الاستفتاح المعروف، ثم يكبِّر الثانية، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يكبر الثالثة ويدعو للميت، ثم يكبر الرابعة ويسلم تسليمتين إحداهما عن يمينه والأخرى عن يساره.

وأركان صلاة الجنازة عندهم هي: القيام مع القدرة، وأربع تكبيرات، الدعاء للميت، أما النية فهي شرط، والسلام واجب.

ثانيًا عند المالكية:

ينوي المصلي الصلاة، ثم يكبِّر، ويرفع يديه في التكبيرة الأولى فقط، ويدعو للميت بعد التكبيرات الثلاث الأوليات، ثم يكبر الرابعة يدعو إنْ أحبَّ، ثم يسلم تسليمة واحدة عن يمينه.

وأركان صلاة الجنازة عندهم هي: النية، القيام مع القدرة، وأربع تكبيرات، الدعاء للميت بعد التكبيرات الثلاث الأوليات، والسلام.

ثالثًا عند الشافعية:

ينوي المصلي الصلاة، ثم يكبر، ويرفع يديه في التكبيرة في

كل تكبيرة، ثم يقرأ الفاتحة بعد التكبيرة الأولى، ثم يكبِّر الثانية ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يكبر الثالثة ويدعو للميت، ثم يكبر الرابعة يدعو بما شاء، ويسلم تسليمتين إحداهما عن يمينه والأخرى عن يساره.

وأركان صلاة الجنازة عندهم هي: النية، القيام مع القدرة، وأربع تكبيرات، قراءة الفاتحة، الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التكبيرة الثانية، الدعاء للميت بعد التكبيرة الثالثة، والسلام.

رابعًا عند الحنابلة:

ينوي المصلي الصلاة، ثم يكبِّر، ويرفع يديه في التكبيرة في كل تكبيرة، ثم يقرأ الفاتحة بعد التكبيرة الأولى، ثم يكبر الثانية ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يكبِّر الثالثة ويدعو للميت، ثم يكبر الرابعة ويقف قليلاً ثم يسلم تسليمة واحدة عن يمينه.

وأركان صلاة الجنازة عندهم هي: القيام مع القدرة، أربع تكبيرات، قراءة الفاتحة، الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التكبيرة الثانية، الدعاء للميت بعد التكبيرة الثالثة أو الرابعة، السلام، أما النية فهي شرط.

وقد سبق بيان ذلك والراجح منه: فليراجع.

والذي عليه العمل في مصر أن المصلي يقرأ بعد التكبيرة الأولى الفاتحة فقط من غير سورة سرًا؛ لفعل النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم، ثم يصلي سرًا على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التكبيرة الثانية، ويدعو للميت في التكبيرة الثالثة سرًا بأحسن ما يحضره، ولا تحديد في الدعاء للميت، ويسن الدعاء بالمأثور، ويقول عند الشافعية بعد التكبيرة الرابعة: «اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، واغفر لنا وله، ويسلم تسليمتين إحداهما عن يمينه والأخرى عن يساره. (الفقه الإسلامي وأدلته د. وهبة الزحيلي ٢/٦٣٦ بتصرف).

المسبوق في صلاة الجنازة:

المسبوق في صلاة الجنازة هو من فاته تكبيرة أو أكثر، ويتعلق بها مسائل منها:

١- إذا أدرك الإمام، فهل يكبِّر ويدخل في الصلاة فورًا أم ينتظر حتى يكبر الإمام التكبيرة التالية؟

يرى الجمهور من الحنفية والمالكية واحدى الروايتين عند الحنابلة أن المسبوق إذا أدرك الإمام بين التكبيرتين عليه أن ينتظر الإمام حتى يكبِّر معه، واستدلوا لذلك بأن التكبيرات كالركعات، ولو فاته ركعة لا ينشغل بقضائها قبل تسليم إمامه، فكذلك إذا فاتته تكبيرة من تكبيرات صلاة الجنازة لم ينشغل بقضائها. فلو كبَّر ولم ينتظر الإمام، لكان المسبوق الذي شرع في قضاء ما فاته قبل تسليم إمامه. ودليله حديث أبي هريرة قال: قال صلى الله عليه وسلم: "إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة ولا تأتوها وأنتم تسعون، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا" (متفق عليه). وفي رواية "فاقضوا"؛ أي: فاقضوا بعد تسليم الإمام. (انظر في هذا حاشية ابن عابدين ١/٥٨٧، الشرح الصغير للصاوي ١/٥٥٦، المغني مع الشرح الكبير لابن قدامة ٢/٣٧٣).

ويرى الشافعية والحنابلة في الرواية الأخرى واختاره أبو يوسف من الحنفية وابن حبيب وأشهب من المالكية أن المسبوق لا ينتظر الإمام، بل يكبِّر ويدخل في الصلاة؛ لأنه في سائر الصلوات متى أدرك الإمام كبَّر معه ولم ينتظر، وأجاب عن الاستدلال بحديث أبي هريرة بأن هذا ليس اشتغالاً بقضاء ما فاته، وانما يصلي معه ما أدركه، ثم يقضي ما فاته بعد تسليم الإمام. (انظر في هذا روضة الطالبين للنووي ١/٦٤٤، المغني مع الشرح الكبير لابن قدامة ٢/٣٧٣، تبيين الحقائق للزيلعي ١/٢٤١، الشرح الصغير للصاوي ١/٥٥٦).

والرأي الثاني أرجح لقوة دليله، ولأنه لا يترتب عليه فوات صلاة الجنازة مع الإمام كما لو دخل بعد التكبيرة الرابعة، وهو مقتضى ما ذهب إليه الرأي الأول.

٢- بعد أن يُسلم الإمام كيف يقضي المسبوق ما فاته؟

اتفق الفقهاء على أن المسبوق يتابع الإمام فيما لحقه، ويُتمُّ ما فاته.

فيرى الحنفية: أن المسبوق يُكبِّر ما فاته كالمدرك الحاضر، بعد فراغ الإمام، فيقضي التكبير

نسقا متتابعا بغير دعاء، إلا إن خشي رفع الميت على الأعناق. أما لو جاء المسبوق بعد تكبيرة الإمام الرابعة فقد فاتته الصلاة، لتعذر الدخول في تكبيرة الإمام. (انظر: حاشية رد المحتار لابن عابدين ٢/٢٢٧).

ويرى المالكية: أنّ مَن أدرك بعض الصلاة فإن تُركت له الجنازة أتمها وإلا بأن رفعت والى التكبير نسقا بلا دعاء، وسلم". (انظر: إرشاد السالك لعبد الرحمن شهاب الدين البغدادي ٢/٢٢٧، حاشية الصاوي على الشرح الصغير).

ويرى الشافعية أنّ المسبوق يكبّر ويقرأ الفاتحة، وإن كان الإمام في غيرها كالدعاء؛ لأن ما أدركه يعتبر أوّل صلاته، ولو كبّر الإمام أخرى قبل قراءته كبر معه وسقطت القراءة عنه كما في غيرها من الصلوات، وإذا سلم الإمام تدارك المسبوق حتماً باقي التكبيرات بأذكارها وجوباً في الواجب وندباً في المندوب. ويُسنّ ألا ترتفع الجنازة حتى يُتمّ المسبوق، ولا يضر رفعها قبل إتمامه. وفي قول لا تُشترط الأذكار. (انظر: الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للخطيب الشربيني ١/٣١٤، المنهاج للنووي ١/٨١).

وقال الحنابلة: من فاته شيء من التكبير قضاه متتابعا، فإن سلّم مع الإمام ولم يقض، فلا بأس وصحت صلاته، أي: أن المسبوق بتكبير الصلاة في الجنازة يسنّ له قضاء ما فاته منها على صفته؛ لأنها تكبيرات متواليات حال القيام. فلم يجب قضاء ما فات منها. وقال ابن الخطاب: إن سلّم قبل أن يقضيه فهل تصح صلاته؟ على روايتين: إحداهما لا تصح، لقوله عليه السلام: "ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا"، وفي لفظ: "فاقضوا". وقياسا على سائر الصلوات والأخرى تصح لقول ابن عمر ولم يُعرف له في الصحابة مخالف.

فإن خشي المسبوق رفع الجنازة، تابع بين التكبير من غير قراءة ولا صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا دعاء للميت، سواء رفعت الجنازة أم لا. ومتى رُفعت الجنازة بعد الصلاة عليها لم تُوضع لأحد يريد أن يصلي عليها، تحقيقا للمبادرة إلى مواراة الميت، أي: يكره ذلك. (انظر: المغني لابن قدامة ٢/٣٧٣، كشاف القناع للبهوتي ٣/١٨٦).

والأرجح أن يقضي المسبوق التكبير مع القراءة والذكر والدعاء ما لم ترفع الجنازة من على الأرض، فإن رُفعت يقضي التكبير نسقا متتابعا.

الصلاة على المولود أو السقط:

السقط الولد تضعه المرأة ميتا أو لغير تمام، فالسقط إذا وضعته أمه حيا بأن وجد فيه ما يدل على الحياة، كأن استهل صارخا، أو بكى، أو حرّك عضوا ثم مات، لا خلاف بين الفقهاء في أنه يُغسّل ويُصلى عليه؛ لحديث: "الطفل (وفي رواية: السقط) يُصلى عليه، ويُدعى لوالديه بالمغفرة والرحمة" (رواه أبو داود والنسائي وغيرهما بسند صحيح).

قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن الطفل إذا عُرفت حياته واستهل: يُصلى عليه. أما إذا وضعته قبل استكمال أربعة أشهر، فلا خلاف أيضا في أنه لا يُغسّل ولا يُصلى عليه، واختلفوا فيما لو وضعته بين هذين الحدين: فيرى الجمهور من الحنفية والمالكية والشافعية: أن المولود يُصلى عليه إن ظهرت عليه أمارات الحياة على خلاف بينهم في ما هي تلك الأمارات، وإن لم يستهل لم يُصل عليه، وإن بلغ أربعة أشهر. (انظر بدائع الصنائع للكاساني ٢/٤٢٩، الشرح الكبير للدردير ١/٤٢٤، حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء للشاشي القفال ٢/١١٣).

ويرى الحنابلة أن المولود أو السقط إذا وُلد لأكثر من أربعة أشهر، يُغسّل ويُصلى عليه، ولأنه نسمة نفخ فيه الروح، فيصلى عليه كالمستهل؛ لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: "إنّ أحدكم يُجمَعُ في بطن أمه أربعين يومًا، ثمّ يكون علقة مثل ذلك، ثمّ يكون مضغة مثل ذلك، ثمّ يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات، فيكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقيّ أو سعيد، ثمّ يُنفخ فيه الرُّوح..." (صحيح البخاري ٣٣٣٢).

فبيّن أنه يُنفخ فيه الروح لأربعة أشهر. (انظر المغني لابن قدامة ٢/٣٧٣، كشاف القناع للبهوتي ٣/١٥٢).

والحمد لله رب العالمين.

اللطائف الخفية في الأقدار الربانية

إعداد **الشيخ د: أسامة بن عبدالله خياط**

خطيب المسجد الحرام

الحمد لله المعطي برحمته وفضله، المانع بحكمته وعدله، أحمده-سبحانه-، لا رادَّ لأمره، ولا معقب لحكمه، وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، أفضل أنبيائه وخير رسله، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعدُ: فيا عبادَ الله اتقوا الله حقَّ التقوى، وراقبوه، فإنه-سبحانه- يعلم السر وأخفى، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ (لُقْمَانَ: ٣٣). أيها المسلمون: في غمرة السعي إلى إدراك المنى، وبلوغ الآمال، والظَّفر بالرغائب، يغفُل أو يتغافل فريق من الناس، أن عاقبة هذا السعي لن تكون وفقَ ما يأمل على الدوام؛ ولذا فإنه حين يقع له بعض حرمانٍ ممَّا يحب، وحين يُحال بينه وبينَ ما يشتهي، تضيق عليه الأرض بما رحُبت، وتضيق عليه نفسه، ويُزايله رشدُه، فيُفضي به ذلك إلى الترَدِّي في وهدة الجحود لنعمِ الله السابغة، ومِننه السالفة، فيصبح ويمسي مثقَلًا بالهموم، مضطرب النفس، لا يهنأ له عيش، ولا تطيب له حال.

وإن الباعث على هذا -يا عبادَ الله- هو الخطأ في معرفة حقيقة العطاء وحقيقة المنع، وتصوُّر أنهما ضدان لا يجتمعان، ونقيضان لا يلتقيان، من أجل ذلك كان للسلف -رضوان الله عليهم- وقفاتٌ محكَماتٌ، لبيان الحق، والدلالة على الرُّشد، والهداية إلى الصواب، فقد نقل الإمام سفيان الثوري -رحمه الله- عن بعض السلف قوله: "إنّ منع الله عبده من بعض محبوباته هو عطاء له؛ لأن الله -تعالى- لم يمنعه منها بخلًا، وإنما منعها لطفًا"، يريد بذلك أن ما يمنّ الله به على عبده من عطاء لا يكون في صورة واحدة دائمة لا تتبدّل، وهي صورة الإنعام بألوان النِّعم، التي يحبها ويدأب في طلبها، وإنما يكون عطاؤه -سبحانه- إلى جانب ذلك في صورة المنع والحجب لهذه المحبوبات؛ لأنه وهو الكريم الذي لا غاية لكرمه، ولا منتهى لجوده وإحسانه، وهو الذي لا تعدل الدنيا عنده جناح بعوضة، كما جاء في الحديث الذي (أخرجه الترمذي في جامعه بإسناد صحيح)، عن سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناحَ بعوضة ما سقى كافرًا منها شربةَ ماء".

إنه -سبحانه- لم يكن ليمنعَ أحدًا من خلقه شيئًا من الدنيا إلا لحكمة بالغة، وقد تخفى على أكثر الناس، يدل لذلك قولُه -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي (أخرجه الترمذي في جامعه)، (وابن حبان في صحيحه)، بإسناد صحيح عن قتادة بن النعمان -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إنّ الله إذا أحبّ عبدًا حماه عن الدنيا كما يظلُّ أحدُكم يحمي سقيمَه الماء"، وفي رواية (للحاكم في مستدركه)، من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إنّ الله -تعالى- ليَحمي عبدَه المؤمنَ وهو يحبه، كما تحمون مريضَكم الطعامَ والشرابَ تخافون عليه"، ويشهد لهذا أيضا كما قال العلّامة الحافظ ابن رجب -رحمه الله- أن الله -عز وجل- حرّم على عباده أشياء من فضول شهوات الدنيا وزينتها وبهجتها؛ حيث لم يكونوا محتاجين إليه، وادّخرها لهم عنده في الآخرة، وقد وقعت الإشارة إلى هذا بقوله -عزّ اسمُه-: (وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) (الزُّخْرُف: ٣٣-٣٥).

وصحّ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "مَنْ لبسَ الحريرَ في الدنيا لم يلبسه في الآخرة" (أخرجه الشيخان في صحيحيهما)، (وفي الصحيحين) أيضا من حديث حذيفة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها؛ فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة"، (وأخرج الشيخان في صحيحيهما)، من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "مَنْ شَربَ الخمرَ في الدنيا لم يشربها في الآخرة"، مع أنه شتان بين (خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ) (مُحمَّد: ١٥)، (لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ) (الواقعة: ١٩)، وتلك هي خمر الآخرة، وبين خمر هي (رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ) (المائدة: ٩٠)، يريد أن يُوقِع بها العداوة والبغضاء بين المؤمنين، ويصدّهم بها عن ذكر الله وعن الصلاة، وتلك هي خمر الدنيا. (وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد)، بإسناده عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، أنه قال: "لولا أن تنقُص حسناتي لخالَطْتُكم في لين عيشكم، لكني سمعتُ الله عيَّر قومًا فقال: (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا) (الأحقاف: ٢٠)".

وإن الواقع الذي يعيشه كلُّ امرئ في حياته

ليُقيم الأدلة البيِّنة، والبراهينَ الواضحة، على صدقِ وصحة هذا الذي نقله سفيانُ- رحمه الله-. فكم من مؤمِّل لو بلغ أمله لكانت عاقبةُ أمره خسرًا، ونهايةُ سعيه حسرةً وندمًا، وكم من حريص على ما لو ظفر بما أراد لأعقب ظفرَه هزيمةً يجر أذيالها، ويتجرّع مرارتها؛ ولذا وجَّه سبحانه الأنظارَ إلى حقيقة أن المرء كثيرًا ما يحب من حظوظ الدنيا ما هو شرٌّ له، ووبالٌ عليه. ويكره منها ما هو خيرٌ له، وأجدرُ به. فقال عزَّ اسمُه: (وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة: ٢١٦)... الآية.

ونهى سبحانه نبيَّه-صلوات الله وسلامه عليه- عن النظر إلى ما مُتِّع به المترفون ونظراؤهم من النعيم، مبيِّنًا له أنه زهرةٌ زابلةٌ، ومتعةٌ زاوية، امتحنَهم بها، وقليلٌ منهم الشكورُ، فقال تبارك وتعالى: (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) (طـه: ١٣١)، وإذنْ فليس بدْعًا أن يكون منعُ الله الإنسانَ من بعض محبوباته عطاءً منه له؛ لأنه منعُ حفظ وصيانةٍ وحمايةٍ، وليس منعَ حجب أو بخلٍ أو حرمانٍ، وصدقَ الله إذ يقول: (ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ) (الحديد: ٢٠).

عبادَ الله: لقد بيَّن أهلُ العلم أن الذمَّ الوارد في الكتاب والسُّنَّة للدنيا ليس راجعًا إلى زمانها، الذي هو الليل والنهار، المتعاقبانِ إلى يوم القيامة، فإن الله جعلهما (خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) (الفُرْقان: ٦٢)، وعن عيسى-عليه السلام- أنه قال: "إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما"، وليس الذمُّ أيضًا راجعًا إلى مكان الدنيا، الذي هو الأرض، التي جعلَها اللهُ لبني آدم مهادًا وسكنًا، ولا إلى ما أودعَه الله فيها من الجبال والبحار والأنهار والمعادن، ولا إلى ما أنبتَه فيها من الزروع والأشجار، ولا إلى ما بثَّ فيها من الدواب وغير ذلك؛ فإن ذلك كله من نعمة الله على عباده، بما جعل له فيه من المنافع، وما لهم به من اعتبار واستدلال على وحدانية خالقه وقدرته وعظمته، وإنما الذم الوارد لها راجعٌ إلى أفعال بني آدم فيها؛ لأن غالب هذه الأفعال واقعٌ على غير الوجه الذي تُحمَد عاقبتُه، وتؤمَن مغبَّتُه، وتُرجى منفعتُه، فاتقوا الله-عباد الله-، وابتغوا فيما آتاكم الله الدار الآخرةَ، ولا تنسوا نصيبكم من الدنيا.

واذكروا على الدوام، أن الله-تعالى- قد أمركم بالصلاة والسلام على خير الأنام، فقال في أصدقِ الحديث وأحسنِ الكلام: (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦)، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنَّك حميدٌ مجيدٌ، اللهم بارِكْ على محمد وعلى آل محمد، كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنَّك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم عن خلفائه الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، وعن أزواجه أمهات المؤمنين، وعنَّا معهم بعفوك، وكرمك، وإحسانك، يا خير مَنْ تجاوز وعفا.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خيرُ مَنْ زكَّاها، أنتَ وليُّها ومولاها، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر، اللهم إنَّا نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لنا وترحمنا، وإذا أردتَ بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين، اللهم أَحْسِنْ عاقبتَنا في الأمور كلها، وأجِرْنا من خزي الدنيا وعذابِ الآخرة.

مقالات في معاني القراءات

الحلقة الخامسة

إعداد **د. أسامة صابر**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، فمع بعض معاني القراءات الواردة في سور الجزء التاسع والعشرين من كتاب الله الكريم:

ومن سورة المرسلات

قوله تعالى: (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) (المرسلات:٢٣).

القراءات: قرأ نافع وأبو جعفر والكسائي (فقدّرنا) بتشديد الدال، وغيرهم بتخفيفها.

المعنى: (فقدّرنا) من التقدير كأنه مرة بعد مرة، لأنه ذكر الخلق فقال: (أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ) (المرسلات:٢٠-٢١)، وهذا يبين أطوار خلق الإنسان، كما قال تعالى: (خلقه فقدّره)، أي قدّره نطفة ثم علقة ثم مضغة، وعلى قراءة التخفيف: من القدرة، وقال الله عز وجل بعدها (فنعم القادرون)، وقال الفراء: هما لغتان (حجة القراءات لابن زنجلة: ص٤٠٠)

قوله تعالى: (انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ) (المرسلات:٣٠).

قرأ رويس بفتح اللام، وغيره بكسرها.

المعنى: أنهم أُمروا أولًا بالانطلاق في قوله تعالى: (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون) وأعيد فعل الأمر على قراءة الجمهور لقصد التوبيخ والإهانة، وعلى قراءة رويس (انطلَقوا) بصيغة الفعل الماضي على معنى أنهم امتثلوا الأمر فانطلقوا إلى دخان النار (التحرير والتنوير لابن عاشور ٤٣٥/١٢، طلائع البشر للشيخ محمد الصادق قمحاوي: ص١٨٧).

الجزء الثامن والعشرون

من سورة المجادلة

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ) (المجادلة:١١).

القراءات: قرأ عاصم (المجالس) على الجمع، وغيره بالإفراد (المجلس).

المعنى: أمر الله عباده المؤمنين بحسن الأدب مع بعضهم بعضًا بالتوسعة في المجلس، وعدم التضايق فيه، والمجلس على قراءة الجمهور قد يراد مجلس خاص، وهو مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، وقال القرطبي: الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والأجر، سواء كان مجلس حرب أو ذكر أو مجلس يوم الجمعة (فتح القدير للشوكاني، وتفسير القرطبي: سورة المجادلة:١١، حجة القراءات لابن زنجلة: ص٣٧٤).

ومن سورة الحشر

قوله تعالى: (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) (الحشر:٢).

القراءات: قرأ أبو عمرو (يُخرِّبون) بفتح الخاء وتشديد الراء، وغيره بإسكان الخاء وتخفيف الراء.

المعنى: على قراءة الجمهور أن بني النضير كانوا يخرجون من ديارهم ويتركونها معطلة خرابًا من الإخراب وهو ترك البيت خرابًا بغير ساكن، وعلى قراءة أبي عمرو: (يُخَرِّبون) بمعنى يهدِّمون بيوتهم وينقضونها، وقيل التخريب والإخراب بمعنى واحد (تفسير الطبري- سورة الحشر:٢).

قوله تعالى: (لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ) (الحشر:١٤).

القراءات: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالإفراد (جدار)، والباقون بالجمع (جدر).

المعنى: أن اليهود والمنافقين من جبنهم وهلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقاتلة بل إما في حصون أو من وراء جدر، فهي جدر كثيرة يستترون بها في القتال، وعلى قراءة (جدار) فالمعنى أن كل فرقة منهم وراء جدار أو المراد به السور، فهو سور واحد يعم جميعهم ويسترهم (تفسير ابن كثير - سورة الحشر:١٤، الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/٤١٦-٤١٧).

ومن سورة الصف

قوله تعالى: (فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) (الصف:٦).

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف (ساحر) والباقون (سحر).

المعنى: من قرأ (ساحر) جعل الإشارة إلى الرسول (عيسى أو أحمد صلى الله عليهما وسلم)، فأخبر عنهم أنهم قالوا إن هذا إلا ساحر، ومن قرأ (سحر) جعله وصفهم ما جاء به من البينات؛ أي ما جاء به من الآيات الخوارق إلا سحر، ويحتمل أن تكون القراءتان بمعنى واحد فتكون الإشارة إلى الرسول أنه نفس السحر مبالغة، كما يقال: (رجل عدل)، أو على حذف مضاف أي ذو سحر (لطائف الإشارات للقسطلانى٤/١٣٩).

قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ) (الصف:١٤).

القراءات: قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو (أنصاراً لله)، وقرأ الباقون (أنصار الله).

المعنى: على قراءة الإضافة (أنصارَ الله) أي دوموا على ذلك فهم أنصار الله من قبل، وانما حضهم على الثبات والدوام على النصرة لدين الله، وفيها معنى التخصيص، والمعنى على قراءة التنوين: كونوا من جملة من ينصر الله، أو انصروا دين الله فيما تستقبلون، وقيل المعنى واحد في القراءتين (الكشف ٢/٤٢١، لطائف الإشارات ٨/٣٨٧، معاني القراءات للأزهري ص٥١٦).

ومن سورة التحريم

قوله تعالى: (وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ) (التحريم:٣)

القراءات: (عرف) قرأ الكسائي بتخفيف الراء وغيره بتشديدها.

المعنى: أسَرَّ النبي صلى الله عليه وسلم إلى حفصة رضي الله عنها بسرّ وأمرها ألا تخبر به أحدًا، فحدَّثت به عائشة رضي الله عنها، وأخبره الله بذلك الخبر الذي أذاعته، فعرَّفها ببعض ما قالت وأعرض عن بعضه كرمًا منه وحلمًا (تفسير السعدي- سورة التحريم:٣)، وعلى قراءة الكسائي أي جازى بالعتب واللوم على بعض وأعرض عن بعض فلم يجازها عليه تكرمًا وحسن عشرة، تقول لأعرفن لك ذلك: أي لأجازينك، وكقوله تعالى: (وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ) (البقرة: ١٩٧): أي: يجازيكم به الله (تفسير البحر المحيط ٨/٤٠٨، الكشف ٢/٤٢٥).

قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا) (التحريم:٨).

القراءات: قرأ شعبة (نصوحا) بضم النون، وفتحها غيره.

المعنى: على قراءة (نَصُوحا): صفة للتوبة وهي صيغة مبالغة على وزن (فعول)؛ أي توبة بالغة في النصح لصاحبها، وعلى قراءة (نُصُوحا) أنها مصدر، فالتائب ينصح نفسه نصوحًا أي يخلّص توبته من الشوائب (تفسير البحر المحيط ٨/٤١٢، معاني القراءات للأزهري ص٥٢٣).

وللحديث صلة. والحمد لله رب العالمين.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام 1345هـ - 1926م

ومن أهدافها

- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوةً حسنة.

- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن الكريم، والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخلقًا.

- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

مفاجأة

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٦
مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة . عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧-٢٣٩١٥٤٥٦

سعر الكرتونة

٨٠٠ جنيه مصري بدلا من ١٠٥٠

هدايا
قيمة

لأول ١٠٠ من المشترين

صدر حديثاً مجلد عام ١٤٣٩-١٤٤٠ بسعر ٦٠ جنيهاً للنسخة

يوجد اعداد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهاً بدلا من ٤٠ جنيه

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجا

01008618513